مفهوم النّص النّبويّ عند الحداثيّين، الدّكتور نصر حامد أبو زيد أنموذجا

-عرض ونقد-

The concept of the prophetic text among the modernists، Dr. Nasr Hamid Abu Zaid as a model

_ presentation and criticism _

الدكتور: مصطفى حنانشة

dr.mostafa hanancha

جامعة حمه لخضر الوادي / الجزائر

الكلمات المفتاحيّة: النّص، النّبويّ، المفهوم، الحداثيّين، نصر حامد.

الملخص

تحدّثت هذه الورقة البحثيّة عن مفهوم النّص النّبويّ عند الحداثيّين ومثّلت بالدّكتور نصر حامد أبو زيد الذي اعتنى بمفهوم النّص من خلال مجموعة من كتبه، فتحدّثت هذه الورقة عن تعريف المفهوم والنّص والحداثيّين والشّخصيّة المدروسة، وبيّنت التّناقض الجليّ في تحديد مفهوم النّص والأسس التي اعتمدها في مفهوم النّص من تاريخيّة النّص وأثر الثّقافة فيه وسلطة العقل في فهمه وتصحيحه، ثمّ تناولت العوامل المؤثّرة في مفهوم النّص عنده منها: عدم وحيّية السّنّة وعدم ثبوتها وبشريّة محمّد ﷺ، فعرضت أرآه وأدلته ثم نقضت كلّ تلك الأدلة، وتوصلت الورقة البحثيّة إلى نتائج أهمّها: الأدلجة الفكريّة الجدليّة الماديّة البحتة في كتاباته، وفوضى المفاهيم وغموضها واضطرابها والاختزال الفكري والهزال النّظري والتّلفيق المنهجيّ ممّا أدى إلى الابتعاد الكلّي عن الثّوابت الشّرعيّة واللغويّة والعلميّة والمنهجيّة، وأوصت الورقة بتكثيف دراسة مناهج الحداثيّين ومنتجاتهم ونقدها علميّا.

Key words: the text، the prophetic، the modernist concept، Nasr Hamid.

Abstract:

This research paper talked about the concept of the prophetic text among the modernists and was represented by Dr. Nasr Hamid Abu Zayd، who took care of the concept of the text through a group of his books. Also، this paper talked about the definition of the concept، the text، the modernists، and the studied personality. It showed the apparent contradiction in defining the concept of the text and the foundations adopted by it in the concept of the text in terms of the history of the text ، the influence of culture on it، and the authority of reason in understanding and correcting it.Then I dealt with the factors affecting his concept of the text، including: the lack of revelation of the Sunnah and its unprovenand humanity of Muhammad M. I presented his opinions and evidence، then I contradicted all that evidence.

The research paper concluded with the most important results: the purely materialistic dialectical intellectual argument in his writings، the chaos of concepts، their ambiguity، disorder، intellectual reduction and wasting theoretical and systematic fabrication، which led to a complete departure from the legal، linguistic، scientific and methodological constants. The paper recommended intensifying the study of modernist curricula، their products، andcriticize it scientifically.

المقدمة

السّنّة النّبويّة هي مصر تشريعيّ لا يمكن الاستغناء عنه، لذلك كانت هجمات غير المتخصصين في السّنة -مهما كان الدّافع-بليغة وجب تبيّنها والتّصدي إليها، ولعلّ من أبرز الطّوائف التي قامت بهذا المجهود التّائه الحداثيّون.وتميّز هؤلاء بالنّزعة العدائيّة التي أعمتهم عن رؤية الحقيقة، مع استخدام التّفسير المادي لنصوص الوحي، وعدم إقامة أدلة حقيقيّة صريحة بقدر ما هو عرض أرائهم بعبرات جميلة، والارتكاز على الحديث الضّعيف أو المختلف فيه وجعله أساسا للدّراسة، وانعدام وجود أي إبداع في مجال قراءة النّصوص للحداثيّين العرب، فهم مقلّدون عاجزون على الإنتاج، وعدم توجيه النّقد للغرب دليل على عدم استعمال العقل المقدّس عندهم كما يدّعون، بل هم آلة لتطبيق أجندات غربيّة، وهذا تناقض منهم أن يمنعوا عقولهم من التّفكير ويدْعون غيرهم لفعل ذلك.

الإشكاليّة:أمام هذه الهجمات المنظّمة والمموّلة على سنّة النّبي ﷺ من بني جلدتنا، وتطور المناهج الغربيّة لدراسة النّصوص ودخول تلك المناهج جامعاتنا العربيّة وتأثر كثير من المثقفين بها، مع وجود مناهج موروثة بثوابتها ووسائلها لفهم نصوص الوحيين مدلّلة عقلا ونقلا، تُطرح عدّة أسئلة: هل مفهوم النّص المستوحى من مناهج الغرب مقبول عندنا؟ وهل ثماره متوافقة مع الثّوابت الشّرعيّة؟ وهل ما أتي به نصر أبو زيد يتماشى مع ثوابت الشّريعة؟ وغيرها من الأسئلة التي ستجيب عنها هذه المداخلة.

أهميّة البحث:مكانة السّنّة العظيمة ومنزلتها في الإسلام، ومكانة نصر حامد عند الحداثيّين.

أهداف البحث: تبيّين عدم ملائمة مناهج الحداثيّين المستوردة لفهم نصوص السّنة.

-منهج البحث: تتبعت منهج استقرائي تحليلي.

خطة البحث:

المبحث الأول: تعريفات المفهوم، النّص، الحداثيّون، نصر حامد أبو زيد.

المطلب الأول:تعريفات المفهوم،النّص،الحداثيّون.

الفرع الأول: المفهوم.

الفرع الثّاني: النّص.

الفرع الثّالث: الحداثيّون.

المطلب الثّاني: نصر حامد أبو زيد.

الفرع الأول: مولده ونشأته:

الفرع الثّاني: وفاته.

الفرع الثّالث:أعماله:

المبحث الثّاني:مناقشة أراء نصر حامد لمفهوم النّص النّبوي.

المطلب الأول:مفهوم النّصّ عند نصر حامد.

المطلب الثّاني: أسس مفهوم النّصّ عند نصر حامد.

الفرع الأول: تاريخيّة النّصّ.

الفرع الثّاني:أثر الثّقافة:

الفرع الثّالث: سلطة العقل.

المطلب الثّالث:العوامل المؤثّرة في مفهوم السّنّة عن نصر حامد.

الفرع الأول:عدم وحييّة السّنّة.

الفرع الثّاني: ثبوت السّنّة.

الفرع الثّالث: بشريّة محمّد ﷺ.

❋ ❋ ❋

المبحث الأول: تعريفات المفهوم، النّص، الحداثيّون، نصر حامد أبو زيد.

المطلب الأول: تعريفات المفهوم، النّص، الحداثيّون.

الفرع الأول: المفهوم.

لغة: مادَّة (ف هـ م) في كتاب العين،[1] وكتاب مقاييس اللغة،[2] وكتاب لسان العرب،[3] تدور حول ثلاثة معانٍ، وهي كلّها مجرَّدة، وهذه المعاني الثّلاثة هي: المعرفة، والعقل، والعلم، يقال: فهمتُ الشّيء، أي: عرَفتُه وعقَلتُه وعلمته. ومفهوم على وزن مفعول.

اصطلاحا: قال أبو البقاء: «هو الصّورة الذّهنيّة، سواء وضع بإزائها الألفاظ أو لا، وقيل: هو ما دلّ عليه اللّفظ لا في محلّ النّطق». [4] وقال التّهانوي: «هو عند المنطقيين ما حصل في العقل أي من شأنه أن يحصل في العقل سواء حصل بالفعل أو بالقوة بالذّات كالكلّيّ أو بالواسطة كالجزئيّ، وهذا عند مَن يقول إنّ صور الجزئيات الجسمانيّة مرتسمة في النّفس النّاطقة إلّا أنّ ارتسامها فيها بواسطة الآلات أي الحواس. وأمّا من يقول بأنّها مرتسمة في الآلات لا في النّفس فيفسّر المفهوم بما حصل عند العقل لا في العقل صرّح به السّيّد السّند، ثمّ المفهوم والمعنى متحدان بالذّات فإنّ كلّا منهما هو الصّورة الحاصلة في العقل أو عنده مختلفان باعتبار القصد والحصول. فمن حيث إنّها تقصد باللفظ سمّيت معنى ومن حيث إنّها تحصل في العقل سمّيت بالمفهوم، هكذا يُستفاد من بديع الميزان والصّادق الحلواني وغيرهما. وعند الأصوليّين خلاف المنطوق وهو ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النّطق بأن يكون حكما بغير المذكور وحالا من أحواله كما يجيء، وهو ينقسم إلى مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة». [5]

فيتلخص أنّ المفهوم:

-هو الصّورة الذّهنيّة لما دلت عليه الألفاظ أو لا، فاللفظ يدلّ على المعنى والصّورة في العقل هي المفهوم.

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بقية حرف الهاء، ٤/ ٦١.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، كتاب الفاء، باب الفاء والهاء وما يثلثهما، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤/ ٤٥٧.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، كتاب الميم، فصل الفاء، مادة (ف هـ م)، دار صادر - بيروت، ط ٣: ١٤١٤هـ، ١٢/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى، أبو البقاء، ، تح: عدنان درويش - محمّد المصري، النّاشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ص ٨٦٠.

(٥) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم محمّد بن علي التّهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة:د.رفيق العجمـ تح: د. علي د.حروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط: ١ - ١٩٩٦م.٢ / ١٦١٧.

-هو ما حصل في العقل بالفعل أو بالقوة، أو عنده.

-وعند الأصوليين هو المقابل للمنطوق، وهو ما دلّ عليه اللفظ لا في محل النّطق، ومنه مفهوم الموافقة والمخالفة.

الفرع الثّاني: النّص.

لغة:قال أهل اللغة:«النّص نصصت الحديث أنصه نصا إِذا أظهرته. ونصصت العروس نصا إِذا أظهرتها. ونصصت البعير في السّير أنصه نصا إِذا رفعته. وقالوا: نصصت الحديث إِذا عزوته إلى محدّثك به. ونصصت العروس نصا إِذا أقعدتها على المنصة. وكلّ شيء أظهرته فقد نصصته. ونصة المرأة: الشّعر الّذي يقع على وجهها من مقدم رأسها. وقال قوم: النّصة والقصة واحد.»[1]

«والنّصّ والنّصيص: السّير الشّديد والحثّ، ولهذا قيل: نصصت الشّيء رفعته،ومنه منصّة العروس. وأصل النّصّ أقصى الشّيء وغايته، ثمّ سُمّي به ضرب من السّير سريع. ابن الأعرابي: النّصّ الإسناد إلى الرّئيس الأكبر، والنّصّ التّوقيف، والنّصُّ التّعيين على شيء ما، ونصُّ الأمر شدّته.»[2] فالنّصّ لغة هو:

-ما ظهر سواء بالارتفاع أو البروز أو السّير الشّديد، والنّصوص الشّرعيّة ظاهرة.

-النّصّ الإسناد إلى الرّئيس الأكبر، والنّصّ الشّرعي هو مسند للأكبر سبحانه وتعالى أو مَن ينوبه نبيه ﷺ.

-النّصّ التّوقف، والنّصّ الشّرعي يُتوقف معه فلا اجتهاد مع نصّ.

-النّصّ التّعيين على الشّيء، والنّصّ الشّرعي هو المتعين .

اصطلاحا: قال التّهانوي:«النّصّ بالفتح والتّشديد هو في عرف الأصوليين يطلق على معان. الأول كلّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسّنّة سواء كان ظاهرا أو نصّا أو مفسرا حقيقة أو مجازا عامّا أو خاصّا اعتبارا منهم للغالب والثّاني ما ذكر الشّافعي فإنّه سمّى الظاهر نصّا فهو منطلق على اللغة، والنّصّ في اللغة بمعنى الظّهور. والثّالث وهو الأشهر هو ما لا يتطرّق إليه احتمال أصلا لا على قرب ولا على بعد كالخمسة مثلا فإنّه نصّ في معناه لا يحتمل شيئا آخر، والرّابع ما لا يتطرّق إليه احتمال مقبول يعضده دليل أمّا الاحتمال الذي لا يعضده دليل فلا يخرج اللفظ عن كونه نصّا.»[3]

فاخترتُ تعريف النّصّ في الاصطلاح الأصوليّ لأنّ البحث شرعيّ، وهو متعدد تبعا لتعدد تعريفه لغة وتبعا للصّناعة الاستنباطيّة الفقهيّة:

-النّص هو ملفوظ الكتاب والسّنّة، وفي اللغة

(١) جمهرة اللغة، محمّد بن الحسن بن دريد ، تح: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م، ١/ ١٤٥. والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٣/ ١٠٥٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٧/ ٩٨.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمّد بن علي التّهانوي،٢ / ١٦٩٥-١٦٩٦.

الإسناد إلى الرّئيس الأكبر وإسناده للأكبر سبحانه أو مَن ينوبه ﷺ، ولغةً التّوقف فملفوظ الكتاب والسّنّة لابدّ أن يُتوقف عندهما، والتّعيين وهما قد عُيّنا.

-النّصّ هو الظاهر كما نُسب للإمام الشّافعي ولغةً هو الظهور.

-ما يُتطرق له احتمال وهذا جزء من ملفوظ الكتاب والسّنّة، لأنّ فيها ملا يُتطرق له وفيها ما يُتطرق له الاحتمال.

الفرع الثّالث: الحداثيّون.

-الحداثة: لغة: مشتقة عربيّا من الفعل حدث بمعنى وقع حدث الشّيء ويحدث حدوثا، وحدث الأمر أي وقع وحصل، وأحدث الشّيء أوجده، والمحدَّث هو الجديد من الأشياء.(١) ويشتق منه كذلك نتحدّث حديثا أي نتكلّم، ومنه الحدوث ما حدث يحدث حدوثا أي وجد بعد أنّ لم يكن .والحديث مقابل القديم .أو ظهور شيء مستجد غير مألوف ومنه المحدثات.(٢)

اصطلاحًا : نظرا لاختلاف الرّؤى والمواقف والآراء بين المفكرين والباحثين حول الأصول التّاريخية لهذا المصطلح والظروف التي أحاطت بنشأته وتطوره.لهذا تعدّدت التّعريفات واختلفت تبعا لزّاوية الرّؤية؛ ولعلّ أجمع التّعاريف قولهم:«فالحداثة حركة فكريّة حديثة وشاملة كرؤيّة جديدة للعام، أذنت بميلاد نظام معرفيّ جديد في أوروبا أنزلت العقل منزلة السّلطة المرجعيّة المعرفيّة الوحيدة في إدراك العالم الطّبيعي والاجتماعي وتكريس الإنسان صفا نهائيّا للتّحرر والتّقدم، وكأنّها ثورة تتجه صوب التّجديد وإلغاء القديم، عنوانها العقل القاطع للصّلة بينه وبين الماضي البالي،كما يصوّره أصحابها آخذًا طريقه نحو التّحديث في شتى مجالات الحياة.«(٣)

كذلك إشكاليّة التّرجمة ((أنّ الاختلاف في ترجمة المصطلح الواحد من شأنه أن يفاقم الاختلاف النّقدي، ويعود ذلك للمصطلح عند نقادنا فضلا عن عدم ترجيح كفة على أخرى في تحديد معنى للمصطلح عند النّاقد الواحد، على أخرى يتعثر وجود قواعد وأصول التّرجمة تكون كدستور للمترجم ويضاف إلى ذلك الاختلاف في الفهم المقصود من المصطلح الواحد ممّا يولد تضاربًا في الآراء واختلافا في النّتائج، وهذا كلّه يعود إلى التّرجمة والتّعريب.))(٤) ومن أسباب اختلاف ضبط التّعريف ((والحداثة مفهوم مرتبط أساسا بالحضارة الغربيّة وسياقاتها التّاريخيّة، وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة يصل في النّهاية إلى أنَّ الحديث عن حداثة عربيّة مشروط تاريخيّا بوجود سابق للحداثة الغربيّة وبامتداد القنوات والتّواصل

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ١٣١.
(٢) محيط المحيط، المعلم بطري البستاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان ١٩٧٧، ص:٧٩.
(٣) موقف طه عبد الرّحمان من الحداثة، بوزيرة عبد السّلام، ص٨.
(٤) قضايا المصطلح، تحت عنوان إشكاليّة المصطلح النقدي المعاصر، السّيميولوجيا نموذجا: بسام قطومي، نقلا عن مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنويّة،أ حياة لصحف، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة،٢٠١٣،ص٧.

بين الثّقافتين.))[1]

فبداية تفتقر الدّلالة إلى تصور صحيح للظّروف التي نتجت فيها الحداثة؛ فحداثة الغرب تختلف عن بيئة الفكر العربيّ ((فهي لم تنشأ نتيجة فكر معيّن أو فلسفة، بل كانت تجديدًا اقتضاه عدم جدوى الوسائل التّقليديّة، لذلك لا يمكن الحديث عن حداثة عربيّة، وبالتّالي فحداثتنا اليوم غربيّة تلقيناها من الغرب وحاولنا أن نؤقلمها مع مناخنا الفكريّ وهذا سبب عدم الوضوح وغموضه.))[2]

وعرّفها أركون[3] بقوله:«استراتيجيّة شموليّة يتّبعها العقل من أجل السّيطرة على كلّ مجالات الوجود والمعرفة والممارسة عن طريق إخضاعها لمعايير الصّلاحيّة أو عدم الصّلاحيّة.»[4] وهناك من عرّفها بقوله:«الرّؤية الفلسفيّة والثّقافيّة الجديدة للعالم، الرّؤية التي أعادت بناء مصوغ الإدراك الإنسانيّ للكون والطّبيعة والاجتماع البشريّ، على نحو نوعيّ مختلف أنتج منظومة معرفيّة وثقافيّة واجتماعيّة جديدة»[5] وغيرها من التّعريفات العديدة التي يبني كلّ واحد تعريفه على الزّاويّة التي يراها أو ينطلق منها والبحث لا يتسع لها ومناقشتها، ونهاية التّعاريف تدور حول تأليه الإنسان وخاصّة العقل، والانبهار بالحضارة الغربيّة ومحاربة الموروث.

ولتوضيح شموليّة هذا الفكر الحداثيّ، وأنّه لا يقتصر على الشّعر واللغة فحسب، بل يتعدّى ذلك إلى الدّين؛ القرآن والحديث النّبوي، نتأمل قول الكاتبة الحداثيّة خالدة سعيد[6] إذ تقول: «إنّ التّوجهات الأساسيّة لمفكري العشرينات، تقدم خطوطا عريضة تسمح بالقول: إنّ البداية الحقيقيّة للحداثة من حيث هي حركة فكريّة شاملة، قد انطلقت يومذاك، فقد مثّل فكر الرّواد الأوائل قطيعة مع المرجعيّة الدّينيّة والتّراثيّة كمعيار ومصدر وحيد للحقيقة، وأقام مرجعين بديلين، العقل والواقع التّاريخي، وكلاهما إنسانيّ، ومن ثمّ تطوريّ.»[7] وتقول أيضاً :«عندما

(١) اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، محمّد براده :١١ مجلة الفصول القاهرة ، المجلد الرّابع ع٣ ، ١٩٨٤م.

(٢) الحداثة في الشّعريّة العربيّة المعاصرة بين الشّعراء والنّقاد، عبد الوهاب البياني ومحيّ الدّين صبحي أنموذجا، نادية بوذراع :٢٦ ماجيستر جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر، ٢٠٠٨/٢٠٠٧ .

(٣) محمّد أركون ولد:١/ ٢/ ١٩٢٨ بالجزائر، وتوفي ١٤/ ٠٩/ ٢٠١٠ بفرنسا، حداثيّ كبير درّس في عدّة جامعات أوربيّة لها عدّة مؤلفات تهتم بالفكر الحداثي وقراءة التّراث الإسلاميّ، له عدّة مؤلفات؛ أشهرها: نقد العقل الإسلاميّ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، وغيرهما، ينظر: الأنسة والتّأويل، مصطفى لكيحل، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، إشراف: أ.د. إسماعيل زروخي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨، ص١٥١٩.

(٤) أين هو الفكر الإسلاميّ المعاصر؟ محمّد أركون، ترجمة: هاشم صالح، ص ١٨١.

(٥) العرب والحداثة دراسة في مقالات الحداثيّين، بلقريز عبد الإله، مركز دراسات الوحدة العربيّة بيروت، ٢٠٠٨، ص٥٨.

(٦) خالدة سعيد، زوجة أدونيس، كاتبة حداثيّة لبنانيّة من أصل سوري، لها عدّة مؤلفات من أشهرها: البحث عن الجذور، المرأة التّحرر الإبداع، وغيرهما، ينظر: ar.m.wikipedia.org.

(٧) مجلة «فصول» المجلد الرابع العدد الثّالث صفحة ٢٧ في مقال لها بعنوان: (الملامح الفكرية للحداثة) .

كان طه حسين وعلي عبد الرّزاق يخوضان معركة زعزعة النّموذج الإسلاميّ، بإسقاط صفة الأصليّة فيه، وردّه إلى حدود الموروث التّاريخيّ، فيؤكدان أنّ الإنسان يـملك موروثه ولا يملكه الموروث، ويملك أن يحيله إلى موضوع للبحث العلميّ والنّظر، كما يملك حق إعادة النّظر في ما اكتسب صفة القداسة، وحق نزع الأسطورة عن المقدس، وحق طرح الأسئلة والبحث عن الأجـوبة.«[1] فهذه هي دعوتهم وهذا ما يهدفون إليه «نزع القداسة عن القرآن والسّنة.« ووضعهما على طاولة البحث العلميّ، وليس الخطر في البحث العلميّ، فالبحث العلميّ المجرّد لا يزيد الحق إلا ثباتا ورسوخاً، ولكن الخطر في نزع اعتقاد المسلم بعصمة الوحي الثّابت قرآنا وسنة، وفي ذلك خطر مستطير عن النّفس، لأنّ فيه تكذيبا لخبر الله وخبر رسوله ﷺوإجماع الأمّة، فهي دعوى صريحة للتّحلل من القيود، ولكن باسم البحث العلميّ !!

ويقول نصر حامد:«المعركة في حقيقتها إذن معركة قديمة في الفكر الحديث وهى ليست مجرّد معركة حول قراءة النّصوص الدّينيّة أو حول تأويلها بل هي معركة شاملة تدور على جميع المستويات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة. معركة تقودها قوى الخرافة والأسطورة باسم الدّين والتّمسك بالمعانيّ الحرفيّة للنّصوص الدّينيّة وتحاول قوى العقلانيّة المتقدمة أن تنازل الأسطورة والخرافة أحيانا على أرضها ولأنّ النّزال غالباً ما يتمّ بآليات السّجال الإيديولوجيّ دون البدء في تحقيق وعيّ علميّ بطبيعة النّصوص وبطرائق تأويلها وقراءتها. تظلّ الغلبة على هذا المستوى من السّجال للخطاب الدّينيّ.«[2]

فهذا كلام خبراء بيّنوا أنّ الحداثة لم يستقر لها تعريف بعدُ، أي ليس لها مفهوم واضح، أي أنّها غير واضحة ولا محددّة المعالم، فكيف لمذهب غير واضح المعالم ولا الأهداف، أن ينتقد مذاهب مستقرة منذ قرون، وأنتجت حضارة مستقرة آمنة تحمل العلم والرّحمة والخير للبشريّة جمعاء.

المطلب الثّاني: نصر حامد أبو زيد.

الفرع الأول: مولده ونشأته:ولد نصر أبو زيد في إحدى قرى طنطا في ١٠ يوليو ١٩٤٣م، ونشأ في أسرة ريفيّة بسيطة، في البداية لم يحصل على شهادة الثّانويّة العامّة التّوجيهيّة ليستطيع استكمال دراسته الجامعيّة، لأنّ أسرته لم تكن لتستطيع أن تنفق عليه في الجامعة، لهذا اكتفى في البداية بالحصول على دبلوم المدارس الثّانويّة الصّناعيّة قسم اللاسلكي عام ١٩٦٠م.

تحصّل نصر علي الليسانس من قسم اللغة العربيّة وآدابها بكليّة الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٢م بتقدير ممتاز، ثمّ ماجستير من نفس القسم والكليّة في الدّراسات الإسلاميّة عام ١٩٧٦م؛ وأيضا بتقدير ممتاز، ثمّ دكتوراه من نفس القسم والكليّة في الدّراسات الإسلاميّة عام ١٩٧٩م بتقدير مرتبة

(١) المرجع نفسه، ص ٢٦.

(٢) ينظر:نقد الخطاب الدّينيّ، نصر حامد أبو زيد، النّاشر سيتا، القاهرة مصر، ط ٢، ١٩٩٤. ص ٦٣.

الشّرف الأولى. شغل نصر حامد أبو زيد عدّة وظائف آخرها أستاذ بعدّة جامعات.

الفرع الثّاني:وفاته: عاش الدّكتور نصر أبو زيد في هولندا، وقبل أسبوعين من وفاته عاد الدّكتور نصر من زيارته لأندونيسيّا إلى مصر بعد ١٥عاما من خروجه منها إثر الحكم بردّته وتفريقه عن زوجته، إثر إصابته بفيروس غريب فشل الأطباء في تحديد طريقة علاجه، ودخل في غيبوبة استمرت عدّة أيام حتّى فارق الحياة صباح الاثنين ٥ جويلية ٢٠١٠ التّاسعة صباحا في مستشفى زايد التّخصصي، وتمّ دفنه في مقابر أسرته بمنطقة قحافة بمدينة طنطا بعد صلاة العصر.

الفرع الثّالث:أعماله:

أ- الكتب: كتب نصر حامد كتابا كثيرة تنقسم إلى أربعة محاور تقريبا، وهي: قضيّة تكفيره، ومفهوم التّراث، وآليات القراءة البنّاءة، وبنية الخطاب الدّيني.

١-ففيما يتعلق بالمحور الأول ركّز نصر حامد على طبيعة العلاقة القائمة بين الفكر التّقليديّ والفكر الحرّ؛ واصفا آليات الفكر التّقليديّ الذي يسارع دائما إلى تصفيّة الخصوم والمخالفين له في الرّؤية من خلال التّكفير وتحريض الرّأي العام باسم الانتصار للإسلام وحمايته دون أن يحاول فتح حوار بنّاء مع الفكر الآخر، وفي ذلك دلالة قاطعة على دغمائيّة الفكر الأصوليّ، وهو ما عبّر عنه في «التّفكير في زمن التّكفير ضدّ الجهل والزّيف والخرافة» وكتاب «القول المفيد في قصة أبو زيد».

٢-المحور الثّاني: يقول نصر حامد أنّ التّراث اسم جامع لمجالات معرفيّة ارتبطت بقضايا «اللغة» و«النّقد» و«البلاغة» و«العلوم الدّينية». وعمل على الكشف عن الرّوابط الخفيّة بين مختلف الدّوائر المعرفيّة، تناولها في كتبه: الاتجاه العقلي في التّفسير، دراسة في قضيّة المجاز في القرآن عند المعتزلة.-هكذا تكلّم ابن عربي.

٣-المحور الثّالث: شرح كيف تحوّل الفكر الدّيني من فكر حرّ إلى فكر منغلق يرفض الانفتاح على الواقع ويسعى دائما إلى كبح جماح العقل البشريّ من جهة، ومن جهة أخرى حلّل واهتمّ بمحاولات مفكّرين معاصرين أمثال أدونيس وحسن حنفي ومواقف اليسار الإسلاميّ، للوقوف على مسلّمات القراءات المعاصرة التي فشلت في نظره، وذلك في:نقد الخطاب الدّيني»، «الإمام الشّافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطيّة». وغيرها من الكتب.

٤-المحور الرّابع: رسم الدّكتور نصر حامد أبو زيد آليات القراءة البنّاءة التي تحرر النّصوص والإنسان من سلطة غيرهما، وجاءت في عدّة كتب من أشهرها: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدّين بن عربي. إشكاليات القراءة وآليات التّأويل.النّصّ السّلطة الحقيقة. ومفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن.

ب- المقالات:تجاوزت مقالات نصر حامد الخمسين مقالا، وهي تتوزع على النّحو الآتي:

- حوالي ثلاثين مقالا كُتب باللغة العربيّة، وخمسة وعشرون مقالا كُتب بالانجليزية.

وتتوزّع المقالات إلى ثلاثة أصناف:بعضها لا صلة لها بقضايا الفكر الدّيني، وبعضها امتدادا لما ألّف من كتب تناول نصر حامد في تلك المقالات بعض أعلام الفكر الإسلاميّ الذين تناولهم في بعض كتبه وآخرين لم يذكرهم بل خصّص لهم مقالات فقط.

ومن أراد قراءة نقده من قِبل كثير من العلماء والمفكرين فليرجع لمظانّها، وأقتصرُ على كلمة – الشّيخ محمّد الغزالي حيث قال:«بأنَّه كويفر مخمور مغرور، يتعثَّر في بديهيَّات التّاريخ، ثمّ يناطح الجبال الشّم!». وقال الشّيخ: «أزعجني جرأة الجهَّال على الإسلام، ثمّ نجاتهم من عُقبَى التّطاول... كنتُ أعرف أنَّ هناك حملة أقلام لا إيمان لهم، لكنّي لم أكن أعرف أنّهم يَكرهون الله ورسوله – ﷺ– على هذا النّحو.»[1]

المبحث الثّاني:مناقشة أراء نصر حامد لمفهوم النّص النّبوي.

المطلب الأول:مفهوم النّصّ عند نصر حامد:

الشّبهة: تناقض نصر حامد في الحكم بنصيّة ووحيّة السّنّة:

–المساواة بين القرآن والسّنّة: يقول نصر حامد: «إنّ موقف الخطاب الدّينيّ المعاصر من علوم القرآن ومن علوم الحديث كذلك هو موقف التّرديد والتّكرار، إذ يتصور كثير من علمائنا أنّ هذين النّمطين من العلوم يقعان في دائرة العلوم التي نضجت واحترقت حتّى لم يعد فيها للخلف ما يضيفه للسّلف.»[2] ويقول أيضا: «كانت هذه المصنّفات في علوم القرآن وفي علوم الحديث) ابن الصّلاح، ت٦٤٣هـ) بمثابة محاولة لجمع هذا التّراث المتنوع في مجال النّصّ.»[3] ويقول أيضا: «سواء كان هذا النّصّ هو القرآن أو الحديث النّبوي.»[4] يقول أيضا: «لا خلاف بين علماء الأمّة على خلاف منهاجهم واتّجاهاتهم قديما وحديثا أنّ الإسلام يقوم على أصلين هما القرآن والحديث النّبويّ الصّحيح، هذه حقيقة لا يمكن التّشكيك في سلامتها.»[5] ويقول أيضا: «والقول إنّ كلّ نصّ رسالة يؤكد أنّ القرآن والحديث النّبوي نصوصا يمكن أن نطبق عليها مناهج تحليل النّصوص وذلك مادام ثمّة اتّفاق على أنّها رسالة.»[6] ويقول أيضا: «وحين نقول تشكّلت فإنّنا نقصد وجودها المتعيّن في الواقع والثّقافة بقطع النّظر عن أي وجود سابق لها في العلم الإلهيّ أو في اللوح المحفوظ.»[7] ويقول بوحيّة السّنّة:«هذه التّفرقة بين حالتي الوحي وحالتي التّحول المشار إليهما عند علماء القرآن، يمكن أن تكون تفرقة بين النّصين الدّينيين القرآن والسّنّة... وقد لا يتفق معنا ابن خلدون في القول بأنّ الحالة

(1) http://www.alukah.net/sharia/0/23894/#ixzz5NZeI-yMEk

(٢) مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثّقافي العربي، ط:١٤،٢٠١٤، ص ١٠–١١.
(٣) المرجع نفسه، ص ١١.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٨.
(٥) المرجع نفسه، ص٢٥.
(٦) المرجع نفسه، ص٢٥.
(٧) المرجع نفسه، ص٢٦.

الأولى حالة الانسلاخ البشريّ يمكن أن تكون حالة الوحي بالسّنّة.»[1]

-يفرّق بين القرآن والسّنّة: يقول نصر حامد: «للأحاديث النّبويّة وذلك بوصفها خطابا بشريّا قابلا للفهم من حيث اللغة والصّياغة وذلك إذا ما قُورنت بقداسة القرآن الكريم وأزليّة لغته وتعبيرها عن ذات المتكلّم سبحانه وتعالى.»[2] وقال أيضا:«فقد فهم المسلمون الأوائل -جيل الصّحابة- أنّ الطّاعة مرتبطة فقط بما يبلّغه الرّسول ﷺ عن الله من الوحي فقط ولذلك كانوا دائما ما يطرحون السّؤال في اجتهاداته خارج إطار الوحي المنزّل -القرآن- أهو وحي أم الرّأي والمشورة...»[3] ويقول أيضا: «إنّ الرّسول ﷺ حامل رسالة بلّغها عن ربه هي القرآن وفي هذا البلاغ يكمن الوحي، أمّا سنته ﷺ فمنها ما هو شرح وبيان، ومنها ما هو اجتهاد».[4] ويقول أيضا: « ...طبقا لهذا الموقف ليست السّنة مصدرا للتّشريع، وليست وحيّا، بل هي تفسير وبيان لما أجمله الكتاب وحتى مع التّسليم بحجية السّنة فإنّها لا تستقل بالتّشريع، ولا تضيف إلى النّص الأصليّ شيئا لا يتضمنّه على وجه الإجمال أو الإشارة.»[5]

-تحليل الشّبهة:لعلّ نصر حامد لم يتعرّض للسّنّة بالنّقد والحكم والتّحليل كما تعرّض للقرآن الكريم لعدّة أسباب، لكنّه ساوى بينهما في عدّة مواضع وكأنّه يجعل الحكم واحدا عليهما، أو أنّ السّنّة بدرجة أقل لأنّه منتج بشريّ، فالقارئ لكتبه يجده يقرّ بأنّ الحديث النّبوي هو أحد أصلي الإسلام وسأنقل مجموعة فقرات قالها نصر حامد يقرّ فيها بما سبق. منها: يقول نصر حامد:«إنّ الدّراسة الأدبيّة ومحورها مفهوم النّصّ هي الكفيلة بتحقيق وعي علميّ نتجاوز به موقف التّوجيه الأيديولوجيّ السّائد في ثقفتنا وفكرنا، والبحث عن هذا المفهوم وبلورته وصياغته لا يمكن أن تتمّ بمعزل عن إعادة قراءة علوم القرآن قراءة جديدة باحثة منقبة. إنّ موقف الخطاب الدّينيّ المعاصر من علوم القرآن ومن علوم الحديث كذلك هو موقف التّرديد والتّكرار، إذ يتصور كثير من علمائنا أنّ هذين النّمطين من العلوم يقعان في دائرة العلوم التي نضجت واحترقت حتّى لم يعد فيها للخلف ما يضيفه للسّلف.» [6] فهو يساوي بين العِلْمين لذلك سأسقط كثيرا من كلامه عن علوم القرآن على علوم الحديث، لأنّه لم يتحدث عنها مستقلة إلا في جزئيّات. ويؤكد ذلك بقوله: «كانت هذه المصنّفات في علوم القرآن وفي علوم الحديث) ابن الصّلاح، ت٦٤٣هـ) بمثابة محاولة لجمع هذا التّراث المتنوع في مجال النّصّ.»[7]

(١) المرجع نفسه، ص٤٨.
(٢) مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد ، ص٤٤.
(٣) النّصّ السّلطة الحقيقة، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثّقافي العربيّ،ط:١، ١٩٩٥م، ص ١٦-١٧.
(٤) المرجع نفسه،ص ٣٥.
(٥) المرجع نفسه، ص ٨٣.
(٦) مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص ١٠-١١.
(٧) المرجع نفسه، ص ١١.

ويقول نصر حامد: «والحقيقة أنّ هذه الدّراسات تنتظم علوما كثيرة محورها واحد هم النّصّ سواء كان هذا النّصّ هو القرآن أو الحديث النّبوي.»[1] هنا يسمّي نصر حامد الحديث النّبوي الصّحيح نصّا، ويسمّيه في موضع آخر أصلا مثل القرآن الكريم حيث يقول:« لا خلاف بين علماء الأمّة على خلاف منهاجهم واتّجاهاتهم قديما وحديثا أنّ الإسلام يقوم على أصلين هما القرآن والحديث النّبويّ الصّحيح، هذه حقيقة لا يمكن التّشكيك في سلامتها.« [2] ثمّ يقول مؤكدا أنّ النّصّ هو القرآن الكريم والحديث النّبوي: «ولا يمكن فهم طبيعة الرّسالة التّي يتضمّنها النّصّ إلا بتحليل معطياته اللغويّة في ضوء الواقع الذي تشكّل النّصّ من خلاله والقول إنّ كلّ نصّ رسالة يؤكد أنّ القرآن والحديث النّبوي نصوصا يمكن أن نطبق عليها مناهج تحليل النّصوص وذلك مادام ثمّة اتّفاق على أنّها رسالة، ومعنى ذلك أن نطبق نهج تحليل النّصوص اللغويّة الأدبيّة.»[3] ثمّ يضيف في تحديد نفس المنهج في التّعامل مع الوحيين الكتاب والسّنّة فيقول: «الحقيقة الثّانيّة التي لا يمكن التّشكيك في سلامتها أنّ هذه النّصوص لم تُلْق كاملة ونهائيّة في لحظة واحدة، بل هي نصوص لغويّة تشكلت خلال فترة زادت على العشرين عاما ... وحين نقول تشكّلت فإنّنا نقصد وجودها المتعيّن في الواقع والثّقافة بقطع النّظر عن أي وجود سابق لها في العلم الإلهيّ أو في اللوح المحفوظ.»[4] يقرّ في هذه الفقرة أنّ مصدر النّصّين واحد وأنّ فهمهما يتمّ بمنهج واحد، لذلك ما طبّقه على القرآن يطبق على السّنّة. لكنّه مع ذلك يفرّق بين القرآن الكريم والحديث النّبوي فيقول:«ويمكن أن يكون ذلك مسؤولا إلى حدّ كبير عن إعطاء الأولويّة في بعض مراحل تاريخنا الفكريّ والثّقافيّ للأحاديث النّبويّة وذلك بوصفها خطابا بشريّا قابلا للفهم من حيث اللغة والصّياغة وذلك إذا ما قُورنت بقداسة القرآن الكريم وأزليّة لغته وتعبيرها عن ذات المتكلّم سبحانه وتعالى.»[5] ويقرّ في موضع بوحيّية السّنّة فيقول بعد نقل كلام ابن خلدون: «واعلم أنّ الحالة الأولى وهي حالة الدّوي هي رتبة الأنبياء غير المرسلين على ما حققّوه.» فيعلّق قائلا: «هذه التّفرقة بين حالتي الوحي وحالتي التّحول المشار إليهما عند علماء القرآن، يمكن أن تكون تفرقة بين النّصين الدّينيين القرآن والسّنّة... وقد لا يتفق معنا ابن خلدون في القول بأنّ الحالة الأولى حالة الانسلاخ البشريّ يمكن أن تكون حالة الوحي بالسّنّة.» [6] لكنّه في موضع آخر ذكر أنّ السّنّة نصّ ثانويّ أي لا يستقل بالتّشريع بل مهمته الشّرح للنّص الأول،فقال:«فقد فهم المسلمون الأوائل -جيل الصّحابة- أنّ الطّاعة مرتبطة فقط بما يبلّغه الرّسول ﷺ عن الله من الوحي فقط ولذلك

(١) المرجع نفسه، ص ١٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٥.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٥.
(٤) مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد ، ص٢٦.
(٥) المرجع نفسه، ص٤٤.
(٦) المرجع نفسه، ص٤٨.

كانوا دائما ما يطرحون السّؤال في اجتهاداته خارج إطار الوحي المنزّل -القرآن- أهو وحي أم الرّأي والمشورة.... ومن هنا طرح الرّسول ﷺ:« أنتم أعلم بشؤون...« وهو الخطاب الذي يكاد الخطاب الدّيني يهدره إهدارا تامّا في ثقافتنا الرّاهنة....في هذا السّياق يجب أن نفهم أقوال الرسول ﷺ الحصّة بجوب اتّباع سنته بأنّ المقصود بها أقواله وأفعاله الشّارحة المبيّنة لما ورد في تعاليم القرآن....«[1] وسأذكر ما ناقش به الإمام الشّافعي وأردّ عليه في ذلك. فنصر حامد يطلق على السّنة أنّها نصّ ثانوي وأنّ جوهرها هو شرح وبيان النّص الأصلي الأول.[2] ويقول أيضا:« إنّ الرّسول ﷺ حامل رسالة بلّغها عن ربه هي القرآن وفي هذا البلاغ يكمن الوحي، أمّا سنته ﷺ فمنها ما هو شرح وبيان، ومنها ما هو اجتهاد، وفي القسم الأخير اختلف المختلفون. وما فعله الإمام الشّافعي إزاء هذا الاختلاف هو أنّه أدمج كلّ العناصر في مفهوم كلي وضعه في المستوى نفسه المقدس للوحي؟ أي لكلام الله سبحانه وتعالى، وبهذا الصّنيع صار كلّ ما ينطق به محمّد وكلّ ما يفعله وحيّا، واختلفت الحدود والفواصل بين الإلهيّ والبشريّ، ودخل الأخير دائرة التّقديس.«.[3]ويقول أيضا:« فإنّ الوجه الثّالث محلّ خلاف وهو استقلال السّنة بالتّشريع يكشف عن طبيعة الموقف الذي أهيل عليه تراب النّسيان في ثقافتنا وفكرنا الدّينيّ. طبقا لهذا الموقف ليست السّنة مصدرا للتّشريع، وليست وحيّا، بل هي تفسير وبيان لما أجمله الكتاب وحتى مع التّسليم بحجية السّنة فإنّها لا تستقل بالتّشريع، ولا تضيف إلى النّص الأصليّ شيئا لا يتضمنّه على وجه الإجمال أو الإشارة .ولا شكّ أنّ هذا الموقف يختلف إلى حدّ كبير عن الموقف الذي جعل الشّافعيّ يسود وهو اعتبار السّنّة وحيّا من نمط مغاير عن وحي الكتاب إنّ وحي السّنة هو الإلقاء في الرّوع أي الوحي بالمعنى اللغويّ الذي هو الإلهام وليس بالمعنى الاصطلاحيّ أي عن طريق وساطة جبريل.«[4]

مناقشة نصر حامد:أدخل نصر حامد عدّة مغالطات وكأنّها مسلّمات حيث قال:« الطّاعة مرتبطة فقط بما يبلّغه عن الله من الوحي فقط.« وهو يقصد القرآن، وهذا الكلام لم يقله أحد؛ بل كلّ علماء المسلمين مجمعين على أنّ أحاديثه مقسّمة عدّة أقسام منها: ما صدر من باب النّبوة فهو واجب الطّاعة ومنها ما صدر من باب القضاء أو باب القائد العسكري أو باب الجبلة البشريّة، فكانون يطرحون ذلك السّؤال ليميّزوا بين كلامه الصّادر من باب النّبوة أم من باب آخر حتى يسمعوا ويطيعوا أو يقترحوا.[5]

(١) النّصّ السّلطة الحقيقة، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثّقافي العربيّ،ط:١، ١٩٩٥م، ص ١٦-١٧.
(٢) ينظر: الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولجيّة الوسطيّة، أبو زيد، ص ١٣.
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٥.
(٤) المرجع نفسه ، ص ٨٣.
(٥) ينظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب،محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، تح: محمد مظهر بقا،الناشر: دار المدني، السعودية،ط: ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ١/ ٤٧٧-٤٩٦. وغيرها من كتب الأصول والمقاصد.

-عرض نصر حامد أدلة الإمام الشّافعي ولم يردّ عليها بل اكتفى بوصفها أنّها غير مقنعة وأنّها أيديولوجيّة: «لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الأيديولوجيّ المشار إليه.»[1] وهذا قصور منه في دحض أدلة الإمام الشّافعي لعجزه أو لعدم فهمه أو لانعدام حجته، بل يرمي كلامه بهالة من الألفاظ الغربيّة حتى يظنّ المخدوع بكلامه أنّه يملك حججا غير مفهومة لبسطاء النّاس. وخاصّة تهمة أدلجة الفكر الذي هو واقع فيها من رأسه لأخمس قدميه يقول علي صالح مصطفى: «واختيار الدكتور النّقد المعتمد على الماديّة الجدليّة دليل وقوعه في الإسقاط الأيديولوجيّ والقراءة المغرضة التّلوينيّة التي اتهم بها الخطاب الدّينيّ فهو يريد أن تنطلق النّصوص بما يريد لا بما أراد القائل.».[2]

-ولندع نصر حامد يردّ على نفسه حيث قول:« وحين نقول تشكّلت فإنّنا نقصد وجودها المتعين في الواقع والثّقافة بقطع النّظر عن أي وجود سابق لهما في العلم الإلهي أو في اللوح المحفوظ.»[3] فهنا يساوي بين القرآن والسّنّة بأنّ لهما وجود سابق في العلم الإلهيّ أو اللوح المحفوظ. ويقول أيضا: «وحالتي التّحول المشار إليهما عند علماء القرآن، يمكن أن تكون تفرقة بين النّصين الدّينيين القرآن والسّنّة..... وقد لا يتفق معنا ابن خلدون في القول بأنّ الحالة الأولى حالة الانسلاخ البشري يمكن أن تكون حالة الوحي بالسّنّة.»[4] أي يثبت أنّ السّنة وحي من الله تعالى عن طريق جبريل عليه السّلام لكن بطريقة تختلف عن طريقة وحي القرآن.فذهب لقول أكثر من قول بعض العلماء الذي يقول أنّها الهام.فقد نقله الإمام الشّافعي فقط.[5]

المطلب الثّاني: أسس مفهوم النّصّ عند نصر حامد.

الفرع الأول: تاريخيّة النّصّ.

-الشّبهة:طرح قضية خلق القرآن بقوة وأيّدها فذهب إلى رأي المعتزلة، وبدأ يدافع عنه بتحليل القضيّة أنّ الكلام صفة فعل، لأنّه يتكلّم عند وجود المخاطب[6] وقال:« الخلط بين صفتي العلم والكلام، فتتجلى صفة العلم القديمة في الفعل المتقن وفعل الكلام فيكون الكلام فعلا يظهر العلم ولا يطابقه تمام المطابقة.»[7] ويقول أنّ الفعل ظهور تاريخيّ.

-تحليل الشّبهة: انطلق نصر حامد من أنّ قضيّة خلق القرآن وقدمه مسألة خلافيّة بين العلماء. يقول هذا الكلام حتّى يشرعن لكلامه وأنّه يتحدّث من

(١) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولجيّة الوسطيّة، أبو زيد، ص ٨٥.
(٢) مقال تحت عنوان المذهب النقدي عند الدكتور نصر حامد و موقفه من الاحتجاج بالسنة رؤية نقدية، لعلي صالح مصطفى ص٢٥٨.
(٣) مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص٢٦.
(٤) المرجع نفسه، ص٤٨.
(٥) الرّسالة الإمام الشّافعي تح: أحمد شاك الناشر: مكتبه الحلبي، مصر ط: ١، ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م، ص ٩٢٩١.
(٦) النّصّ السّلطة الحقيقة، نصر حامد، ص٦٧-٧١.
(٧) المرجع نفسه، ص٧١.

داخل الدّائرة وليس من خارجها.ثمّ ذهب إلى رأي المعتزلة القائل بخلق القرآن، وبدأ يدافع عنه بتحليل القضيّة أنّ الكلام صفة فعل، لأنّه يتكلّم عند وجود المخاطب[1] وقال: «الخلط بين صفتي العلم والكلام، فتتجلى صفة العلم القديمة في الفعل المتقن وفعل الكلام فيكون الكلام فعلا يظهر العلم ولا يطابقه تمام المطابقة.»[2] ويقول أنّ الفعل ظهور تاريخيّ.

-مناقشة نصر حامد:وممّا يرد به أهل السّنّة على هذا الكلام أنّ الوصف والتّسميّة غير الصّفة والاسم، وهي تردّ قولهم لا يتكلّم حتى يكون هناك مخاطب، قال الإمام الباقلاني: «وإن كان وصف الله سبحانه لنفسه وصفا بصفات أفعاله نحو قوله تعالى إنّي خالق ورازق وعادل ومحسن ومتفضّل وما جرى مجرى ذلك كان وصفه لنفسه بهذه الصّفات غير صفاته الّتي هي الخلق والرّزق والعدل والإحسان والإنعام لأنّ هذه الصّفات هي أفعال الله تعالى وهي محدثات ومن صفات أفعاله والكلام الّذي هو قوله إنّي خالق عادل متفضّل محسن من صفات ذاته وصفات الذّات غير صفات الأفعال لأنّها قد كانت موجودة مع عدمها.»[3] واتّفق العلماء على أنّ كلام الله تعالى غير متناهيّ بدليل قوله تعالى:«قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)» سورة الكهف.وهذه الكلمات هي تعلّقت بها صفتان: العلم وينشأ عنه الخبر وهو صدق دوما، والإرادة وينشأ عنها الأمر والنّهي،والله دائما آمرا وناهيّا فهو متكلّم دون نهايّة، وصفة العلم متعلقة بها صفة الكلام لأنّ العلم يُعبّر عنه بالكلام والعلم قديم فالكلام قديم، والقرآن الكريم تكلّم الله به قديما لأنّه متعلق بعلم الله القديم.

-الشّبهة: تاريخيّة النّص من خلال عدم ثبات الفهم، بل يتطور الفهم حسب الزّمان، حيث قال نصر حامد:«وهو تصوّر أقل ما يُقال عنه الآن أنّه تصوّر يعزل النّصّ عن سياق ظروفه الموضوعيّة التّاريخيّة بحيث يتباعد عن طبيعته الأصليّة بوصفه نصّا لغويّا.»[4] وقال أيضا: «في هذا السّياق يجب أن نفهم أقوال الرّسول ﷺ الخاصّة بوجوب اتّباع سنته بأنّ المقصود بها أقواله وأفعاله الشّارحة المبيّنة لما ورد في تعاليم القرآن وما سوى ذلك من الأقوال والأفعال يجب أن تندرج في سياق الوجود الاجتماعيّ للشّخص التّاريخيّ، بمعنى أنّها أقوال وأفعال غير ملزمة للمسلم في العصور التّاليّة».[5] ويقول أيضا: «البعد التّاريخي الذي نتعرّض له هنا يتعلّق بتاريخيّة المفاهيم التي تطرحها النّصوص من خلال مفاهيمها، فالقراءة التي تتمّ في زمن تال في مجتمع آخر تقوم عل آليتين،

(١) المرجع نفسه، ص٦٧-٧١.
(٢) المرجع نفسه، ص٧١.
(٣) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل،محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، تح: عماد الدين أحمد حيدر،الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٤٦.
(٤) مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص ١٢.
(٥) النّصّ والسّلطة والحقيقة أرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، نصر ، ص ١٦-١٧.

آليّة الإخفاء وآليّة الكشف، تخفي ما ليس جوهريّا وهو ما يشير إلى الزّمان والمكان عادة إشارة لا تقبل التّأويل وتكشف عما هو جوهري بالتّأويل، وليس ثمة ما هو جوهر ثابت في النّصوص بل لكلّ قراءة بالمعنى التّاريخيّ الاجتماعيّ جوهرها الذي تكشفه في النّصوص.»[1]

-تحليل الشّبهة: لقد قال نصر حامد بتاريخيّة النّصّ القرآنيّ والحديثيّ حين قال: «لكن هذه العمليّات على أهميتها من الوجهة الثّقافيّة كانت تتمّ من منطلق تصور دينيّ للنّصّ صاغته اتّجاهات الفكر الرّجعي في تيار الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وهو تصوّر أقل ما يُقال عنه الآن أنّه تصوّر يعزل النّصّ عن سياق ظروفه الموضوعيّة التّاريخيّة بحيث يتباعد عن طبيعته الأصليّة بوصفه نصّا لغويّا.»[2] يريد أن يجعل من الظّروف التّاريخيّة والموضعيّة حكما على النّص ولا يمكن عزله عن تلك الظّروف التي تشكّل فيها،وقال أيضا:« في هذا السّياق يجب أن نفهم أقوال الرّسول ﷺ الخاصّة بوجوب اتّباع سنته بأنّ المقصود بها أقواله وأفعاله الشّارحة المبيّنة لما ورد في تعاليم القرآن وما سوى ذلك من الأقوال والأفعال يجب أن تندرج في سياق الوجود الاجتماعيّ للشّخص التّاريخيّ، بمعنى أنّها أقوال وأفعال غير ملزمة للمسلم في العصور التّاليّة هذه التّفرقة بين سنّة الوحي وسنة العادات كانت تمثل نقطة خلاف بين أهل الرّأي وأهل الحديث من الفقهاء حيث أصرّ الفريق الأول على التّمييز بينها بينما أصرّ الفريق الثّاني على التّوحيد بينها...بفضل جهود الإمام الشّافعي فقد تمّ توسيع مفهوم السّنّة ليشمل الأقوال كلّها والأفعال كلّها بالإضافة إلى الموافقات الصّريحة أو الضّمنيّة عل أنماط السّلوك والممارسات الحياتيّة في عصر النّبوة، إنّ القراءة المتمهلة لكتب السّنن وعلى رأسها الصّحيحان تكشف أنّها جميعا حشد مسهب للسّيرة النّبويّة رغم أنّها موزعة على الأبواب الفقهيّة...هل يندرج هذا التّراث كلّه تحت السّنّة في مفهوم الدّين المقدس أم أنّ تمييز أهل الرّأي السّابق الإشارة إليه تمييز مشروع، يجب إعادة تأصيله في ثقافتنا الدّينيّة المعاصرة؟.»[3] أي أنّ السّنّة الشّارحة للقرآن هي واجبة الاتّباع، أمّا الزّائدة عن ذلك فهي تابعة للظروف الاجتماعيّة لا يمكن أن تواكب تطور الزّمن، ويقول أيضا: «البعد التّاريخي الذي نتعرّض له هنا يتعلّق بتاريخيّة المفاهيم التي تطرحها النّصوص من خلال مفاهيمها، فالقراءة التي تتمّ في زمن تال في مجتمع آخر تقوم عل آليتين، آليّة الإخفاء وآليّة الكشف، تخفي ما ليس جوهريّا وهو ما يشير إلى الزّمان والمكان عادة إشارة لا تقبل التّأويل وتكشف عما هو جوهري بالتّأويل، وليس ثمة ما هو جوهر ثابت في النّصوص بل لكلّ قراءة بالمعنى التّاريخيّ

(١) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص١٠٣.
(٢) مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص ١٢.
(٣) النّصّ والسّلطة والحقيقة أرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، نصر ، ص ١٦-١٧.

الاجتماعيّ جوهرها الذي تكشفه في النّصوص.«[1] يعطي المفهوم الواسع و المقصود بالتّاريخيّة أي لكلّ زمن فهمه أي أنّ للزّمان والمكان تأثير واضح في إنتاج فهم جديد أي ليس هناك شيء ثابت لك الكلّ متحرّك، لأنّه إذا ثبت فهم معين من زمن معين فهو قضاء على القداسة الإلهية، وتحكم البشريّة والزّمن فيه لذلك يؤكد هذا المعنى فيقول:«يؤدي التّوحيد بين الفكر والدّين إلى التّوحيد مباشرة بين الإنسانيّ والإلهي،وإضفاء قداسة على الإنسانيّ والزّمانيّ.«[2]

مناقشة نصر حامد:لقد ظلّ نصر حامد يردّد فكرة تاريخيّة النّصّ، فالنّصّ يحمل بصمات المرحلة التّاريخيّة التي تشكّل فيها، لينتج عن ذلك مسافة بين القارئ والنّصّ، تحتاج إلى وسائل معرفيّة ومنهجيّة لتجاوزه، وتنحدر من هذه الفكرة، مجموعة من المسلّمات والمقدّمات غير مسلّم بها من قِبل الجميع حتّى داخل المدارس التّأويليّة، إلا أنّ نصر حامد يتجاوز هذا النّقاش بصورة اختزاليّة تلفيقيّة تبعث على الاستغراب، بل خلال بحثه بصفة عامّة أثّرت عليه طريقته في العمل والتّفكير أثّرت على مصداقيّة نتائجه وموضوعيّتها وعلى درجة عمقها، مثل فوضى المفاهيم وغموضها واضطرابها والاختزال المعرفيّ والسّطو الشّكلي والتّلفيق المنهجي.[3] وقد ناقشه فهمي هويدي[4] بقوله: «هناك إسلام واحد، وكتاب واحد، أنزله الله على رسوله، وبلغة رسوله إلى النّاس.«[5] لأنّ دعوة نصر حامد بالتّاريخيّة يعطي مفهوما للقرآن والسّنّة غير ثابت ويصبح مجموعة من الدّيانات كلّ واحد يفهم النّصّ كما يروق له.حيث يقول نصر حامد«:الأمر الذي يؤكد أنّ للمفاهيم بعدها الاجتماعيّ الذي يؤدي إهداره إلى إهدار دلالات النّصوص ذاتها.«[6]

أمّا بخصوص التّوسع في مفهوم السّنّة الذي يقصد به تاريخيّة النّصّ وهي الأقوال والأفعال والتّقريرات التي ليست شارحة للقرآن ولا مبيّنة له، فهي ليست ملزمة للمسلم وهي تاريخيّة لا يمكن تجاوز ذلك. واعتمد بأنّ أهل الرّأي يقولون ذلك حتّى يشرعن اختياراته، وقد ناقشته في فرع بشريّة الرّسول ﷺ الذي سيأتي.

الفرع الثّاني:أثر الثّقافة:

-الشّبهة:دور الثّقافة في تشكيل النّصوص حيث قال نصر حامد «الحقيقة الثّانيّة التي لا يمكن التّشكيك في سلامتها أنّ هذه النّصوص لم تُلْق كاملة ونهائيّة في

(١) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص١٠٣.
(٢) الخطاب الدّيني، رؤيّة نقديّة، نصر حامد، ص ٢١.
(٣) ينظر: نقد نقد الخطاب، رؤيّة معرفيّة اجتماعيّة نصر حامد أبو زيد أنموذجا، أ.مسود قرميس، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مجلة الخطاب والتّواصل العدد ٣ أبريل ٢٠١٧، ص ١٣٤.
(٤) محمود فهمي عبد الرّزاق هويدي، ١٩٣٧/٠٨/٣٠ بالجيزة مصر، مفكر إسلاميّ كبير جدا، له مؤلفات عديدة القرآن والسّلطان، الإسلام والدّيمقراطيّة، وغيرهما، ينظر:
ar.m.wikipedia.org..
(٥) القرآن والسّلطان، فهمي هويدي، دار الشّروق، القاهرة، ط:٢، ١٩٨٢، ص ٧.
(٦) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص٥٧.

لحظة واحدة، بل هي نصوص لغويّة تشكّلت خلال فترة زادت على العشرين عاما ... وحين نقول تشكّلت فإنّنا نقصد وجودها المتعين في الواقع والثّقافة بقطع النّظر عن أي وجود سابق لها في العلم الإلهيّ أو في اللوح المحفوظ وإذا كانت هذه النّصوص قد تشكّلت في الواقع والثّقافة فإنّ لكليهما دورا في تشكيل هذه النّصوص.»[1] ويقول بصراحة:«إنّ القول بأنّ النّصّ منتج ثقافيّ يكون من هذه الحالة قضيّة لا تحتاج إلى إثبات.»[2] ويقول أيضا:«إنّ النّصوص وإن تشكّلت من خلال الواقع والثّقافة تستطيع بآلياتها أن تعيد بناء الواقع ولا تكتفي بمجرد تسجيله أو عكسه عكسا مرآويّا بسيطا.»[3]

-تحليل الشّبهة: «الحقيقة الثّانيّة التي لا يمكن التّشكيك في سلامتها أنّ هذه النّصوص لم تُلْق كاملة ونهائيّة في لحظة واحدة، بل هي نصوص لغويّة تشكّلت خلال فترة زادت على العشرين عاما ... وحين نقول تشكّلت فإنّنا نقصد وجودها المتعين في الواقع والثّقافة بقطع النّظر عن أي وجود سابق لها في العلم الإلهي أو في اللوح المحفوظ وإذا كانت هذه النّصوص قد تشكّلت في الواقع والثّقافة فإنّ لكليهما دورا في تشكيل هذه النّصوص.»[4] أي أنّ للثقافة دور في تشكيل النّصوص وهذا الدّور مبني على ثقافة ذلك المجتمع مثل السّحر والميزان واللوح المحفوظ وغيرها التي راعت مستوى ثقافة ذلك المجتمع فتحدّثت النّصوص وكأنّها حقائق وليست مجازا، ويقول بصراحة: «إنّ القول بأنّ النّصّ منتج ثقافيّ يكون من هذه الحالة قضيّة لا تحتاج إلى إثبات».[5] كأنّها مسلّمة حتى بني عليها خرابه بعد ذلك، أي منتج من رحم ثقافة المجتمع آنذاك، ويقول بجسارة كبيرة تبيّن اعتماده الماركسيّة الماديّة،:«إنّ النّصوص وإن تشكّلت من خلال الواقع والثّقافة تستطيع بآلياتها أن تعيد بناء الواقع ولا تكتفي بمجرد تسجيله أو عكسه عكسا مرآويّا بسيطا.»[6] وقد اعتمد نصر حامد على عدّة حجج في دعواه هذه، منها: أنّ القرآن وحيّ وهذا الأمر كان معروفا عند العرب، استجابة الوحيّ لأحوال المرسل إليهم، نزوله منجما، إعجازه اللغويّ الخاصّ بالعرب.

-مناقشة نصر حامد:فكلّ ذلك يتماشى مع فلسفة الماديّة الجدليّة التي تدّعي أنّ الواقع منشئ الوعيّ والدّين والأخلاق وليس العكس، وأنّ الوحيّ ما هو إلا خيال الأنبيّاء ناتج عن ظروف الفقر واليتم والاضطهاد، فهذه تلغي عالم الغيب كلّه، فيريد نصر حامد أن يتخذها منهجا لتحليل الخطاب الدّينيّ القرآن والسّنّة، وهذه واضحة في مخالفتها لعقيدة المسلمين بأنّ الوحيّ من الله تعالى وإن كان في مواضع سبق الإشارة إليها يقول بوحيّية القرآن لكن بدعوة

(١) النّصّ السّلطة الحقيقة، د. نصر حامد أبو زيد، ص٢٦.
(٢) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص ١٤٥. وينظر:مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد، ص ٢٤-٢٦.
(٣) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص ٦٩.
(٤) النّصّ السّلطة الحقيقة، د. نصر حامد أبو زيد، ص٢٦.
(٥) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص ١٤٥. وينظر:مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد، ص ٢٤-٢٦.
(٦) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص ٦٩.

تأثير الثّقافة والواقع في تشكيل النّصوص.

ونتج عنها منهج تأويل النّصوص الماديّ البحت الذي لا يؤمن بالغيب والذي لا يخضع لضابط بل هو علاقة جدليّة بين النّصّ والقارئ.[1] ونتج عنه كلام خطير جدا ينفي عنها ثبوت المعلومات العقديّة عند علماء المسلمين جميعا حيث يقول:«مازال الخطاب الدّيني يتمسّك بوجود القرآن في اللوح المحفوظ اعتمادا علي الفهم الحرفيّ للنّصّ، ومازال يتمسك بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيّه وصولجانه ومملكته وجنوده الملائكة، ...بالشّياطين والجنّ والسّجلات التّي تُدوّن فيها الأعمال . والأخطر من ذلك تمسّكه بحرفيّة العقاب والثّواب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة ...إلى آخر ذلك من التّصورات الأسطوريّة.»[2] إنهّا الماديّة في أبهى حلّة لها حيث تحوّل كلّ شيء للمجاز بما يتناسب والعقل الماديّ البحت الذي لا يتصّور الأمور الغيبيّة وهذه مناقضة لأصول الدّين لأنّ الغيب شرط إيمان المؤمنين به، والحقيقة أنّ تأويل القرآن واستكشاف ما فيه من أدويّة لأمراض المجتمعات المختلفة هو روح الإسلام لكن بضوابط من أعظمها ربانيّة المصدر؛ وعدم مناقضة قطعيّات الدّين، وهذا ما فعله علماؤنا عبر العصور حيث تغلّبوا على كلّ الصّعاب من خلال هذا المبدأ القائل :«لا تنقضي عجائبه.»[3] ومصداقا لذلك يقول الشّيخ محمّد الغزالي: «كلّ جيل استطاع من خلال كسبه العلميّ أن يقرأ هذه الآيات فيدرك فيها أبعادا لم يدركها مَن سبقه ...ونخشى إذا قلنا مع مَن يقول : بأنّ القرآن أُدرك كلّه في جيل معيّن فقط أن نحاصر القرآن ونلغي خلوده.»[4]

لم يفرّق نصر حامد بين نزول القرآن وحديث النّبي ﷺ في معالجة ما طرأ من أحداث وهو ما نسمّيها بأسباب النّزول وأسباب ورود الحديث، التي تكشف لنا عن معالجة قضيّة ما، وذكر منهج معالجة مثيلاتها لذلك لا تجد في القرآن تشخيص الأحداث بل يعتمد أسلوب التّعميم وما سبب النّزول إلا طريقة للاستقبال القويّ لتوطيد الثّقة بالمنهج الجديد في معالجة أمور الأمّة، لذلك تفطّن علماؤنا لهذه الفكرة فقالوا «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب« فلماذا لم يتعرّض نصر حامد لتحليل أسئلة القرآن«يسألونك عن..«؟ وانتظار الإجابة الحاسمة من الله تبارك وتعالى وقد تطول المدّة والنّبيّ ﷺ ينتظر، فلو كان الواقع والثّقافة هي المشكّلة للنّصوص بطريقة ما لأجاب النّبيّ ﷺ عن ذلك وما وقع في الحرج، قصّة أصحاب الكهف، وقضية الإفك نماذج عن ذلك وغيرهما كثير.

(١) ينظر:فلسفة التّأويل، نصر حامد، المركز الثّقافّي العربّي، الدّار البيضاء، المغرب، ط:٦، ٢٠٠٧، ص ٥-٦.

(٢) النّصّ والسّلطة والحقيقة، نصر حامد، ص١٣٥.

(٣) الترّغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، عمر بن شاهين، تح: محمّد حسن، النّاشر: دار الكتب العلميّة، بيروت،ط: ١، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م، ص ٦٩.

(٤) كيف نتعامل مع القرآن، محمّد الغزالي، دار النّهضة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، القاهرة، مصر، د.ط،٢٠٠٢، ص ١٩٩. وينظر:نقد النّصّ، حرب علي، المركز الثّقافي العربي، ط:١٩٩٣،١، ص٢١٩.

أمّا نزوله منجّما فهو أشدّ في التّثبيت والتّعليم والتّحدي وليس ذلك راجع لتأثير الثّقافة فيه كما يدّعي نصر حامد، فقد أجاب القرآن نفسه عن ذلك فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾ سورة الفرقان الآية(٣٢).

أمّا إعجازه اللغويّ فهو لإقامّة الحجّة عن العرب وغيرهم، فقد دخل غير العرب الإسلام بتلك المعجزة، وقد أثبت العلماء أنّه يحمل أنواعا أخرى من الإعجاز التّي تتماشى مع العصور اللاحقة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(٥٣)﴾ سورة فصلت الآيات (٥٢) (٥٣).

الفرع الثّالث: سلطة العقل:

-الشّبهة: يقول نصر حامد:«الأصل والبدء السّلطة التي يتأسس عليها الوحيّ ذاته، العقل لا بما هو آليّة ذهنيّة صوريّة جدليّة، بل هو فاعليّة اجتماعيّة تاريخيّة متحركة، هذه السّلطة قابلة للخطأ، لكنّها بنفس الدّرجة قادرة على تصويب أخطائها والأهمّ من ذلك أنّها وسيلتنا الوحيدة للفهم، فهم العالم والواقع وأنفسنا والنّصوص.»[1]

-تحليل الشّبهة: يقول نصر حامد:«الأصل والبدء السّلطة التي يتأسس عليها الوحيّ ذاته، العقل لا بما هو آليّة ذهنيّة صوريّة جدليّة، بل هو فاعليّة اجتماعيّة تاريخيّة متحركة، هذه السّلطة قابلة للخطأ، لكنّها بنفس الدّرجة قادرة على تصويب أخطائها والأهمّ من ذلك أنّها وسيلتنا الوحيدة للفهم، فهم العالم والواقع وأنفسنا والنّصوص.»[2] يريد نصر حامد أن يقول أنّ العقل هو الوسيلة الوحيدة للفهم وغيرها خطأ والعقل هو فاعليّة اجتماعيّة تاريخيّة متحرّكة أي متغيرة عبر الزّمان ومتفاعلة معه ومع نفسها تفهم وتصحّح الخطأ إن وجد.

-مناقشة نصر حامد:إنّ نظرة نصر حامد للعقل هي نظرة قديمة متمثلة في القدرة المطلقة له وعلى ثباته وعدم تغيره، حيث يقول :«الأصل والبدء السّلطة التي يتأسس عليها الوحيّ ذاته، العقل لا بما هو آليّة ذهنيّة صوريّة جدليّة، بل هو فاعليّة اجتماعيّة تاريخيّة متحركة، هذه السّلطة قابلة للخطأ، لكنّها بنفس الدّرجة قادرة على تصويب أخطائها والأهمّ من ذلك أنّها وسيلتنا الوحيدة للفهم، فهم العالم والواقع وأنفسنا والنّصوص»[3] هذا نص يبينّ قداسة العقل عند نصر حامد وأنّه يصحّح حتّى خطأ الوحيّ هذا تجرؤ كبير وهو يقصد القرآن فما بالك بالسّنّة التي اعتبرها وحيّا مرة و اعتبرها نصا ثانويّا ليس له دور إلا شرح القرآن مرة أخرى، ثمّ أخرج أغلبها من دائرة النّصّ، يقول قطب الرّيسوني[4]: «إنّ تسليط العقل على الوحيّ،

(١) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص ١٣١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣١.

(٣) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد ، ص ١٣١.

(٤) أ.د. قطب بن محمّد الرّيسونّي أديب مغربّي، ولد ١٩٧٣، له عدّة كتب منها: النّص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق

وإيثاره بالتّقديم والتّعظيم، إلى حدّ الصّنميّة، والتّأليه، والاسترقاق الفكري.«[1] وهي رؤية تخلّت عنها الدّراسات الحديثة لصالح مقاربة تقوم على تاريخيّة العقل البشري وتغيّره ونسبيته وارتباطه بالثّقافة والتّاريخ والقيم والرّؤيّة الأنطولوجيّة وهو الفخ الذي لم يقع فيه أركون.[2] فما وصف به نصر حامد النّصّ، من تاريخيّة وتغيّر، هو ذاته الوصف الذي أوقعه العلماء المعاصرون على العقل، ثمّ لو كان العقل كما يدّعي نصر حامد من محوريته في الفهم والحكم، لما نتج الاختلاف المتضاد بين منتجات العقول لفهم نصّ واحد في زمن واحد، وهذا ينفي عنه الاعتماد المطلق وينفي عنه القداسة التي تجعل منه حكما على كلّ شيء، ثمّ هو يدّعي أنّها أحكام اجتماعيّة تاريخيّة أي غير حاسمة ولا قطعيّة، بل مفتوحة متجددة قابلة دائما للاكتشاف والفحص والتّأويل.[3] فمميزات العقل عند نصر حامد المرونة والانفتاح، وغرضه النّظر المحض، ومعياره ما يوصل إليه البحث المجرد بحسب الإمكان والطّاقة ومطمعه درك المجهول واقتناص اللامعقول واستعادة الأصول، لذا فهو يعمل علي استنباط المجهول من المعلوم، ويسعى إلى أن يعقل ما لم يُعقل.[4]

المطلب الثّالث:العوامل المؤثّرة في مفهوم السّنّة عن نصر حامد.سأناقش نصر حامد بما هاجم به الإمام الشّافعي باعتباره خلاصة فكره.

الفرع الأول: عدم وحييّة السّنّة.

-الشّبهة: إنكار وحييّة السّنّة يقول نصر حامد:«وحتّى مع التّسليم بحجيّة السّنّة فإنّها لا تستقل بالتّشريع، ولا تضيف إلى النّص الأصليّ شيئا لا يتضمّنه على وجه الإجمال أو الإشارة .ولا شكّ أنّ هذا الموقف يختلف إلى حدّ كبير عن الموقف الذي جعل الشّافعيّ يسود وهو اعتبار السّنّة وحيّا من نمط مغاير عن وحي الكتاب، إنّ وحي السّنّة هو الإلقاء في الرّوع أي الوحي بالمعنى اللغويّ الذي هو الإلهام وليس بالمعنى الاصطلاحيّ أي عن طريق وساطة جبريل.»[5].

-تحليل الشّبهة: الحجة الكبرى في إنكار وحيية السّنة هو عدم استقلالها بالتّشريع، حيث يقول:«وحتّى مع التّسليم بحجية السّنة فإنّها لا تستقل بالتّشريع، ولا تضيف إلى النّص الأصليّ شيئا لا يتضمّنه على وجه الإجمال أو الإشارة .ولا شكّ

التّدبر، عناقيد وأغاريد شعر، وغيرهما .

(١) النّصّ القرآنّي من تهافت القراءة لأفق التّدبر، قطب الرّيسونيّ، منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، ط:١،٢٠١٠،ص ٢٨٣.

(٢) ينظر:نقد العقل الدّيني، محمّد أركون، دار الطّليعة، بيروت،٢٠٠٠، ص ٥٧. وينظر: نقد نقد الخطاب، مرجع سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

(٣) ينظر:التّأويل والحقيقة قراءات تأويليّة في الثّقافة العربيّة ، حرب علي،دار التّنوير بيروت،ط:٢،١٩٩٥،ص ١١٨.

(٤) النّظرية التّأويليّة عند ريكور، ت بن حسن حسن، p.ricoeur le conflit des interpretation p 13-14.
نقلا عن تأويل نصر حامد أبو زيد للنّصّ الدّينيّ القرآنيّ، أ. عثماني آمال، مجلة فتوحات العدد الثّاني ، جوان ٢٠٠١٥.ص ٣٣٧.

(٥) الإمام الشّافعي، أبو زيد، ص ٨٣.

أنّ هذا الموقف يختلف إلى حدّ كبير عن الموقف الذي جعل الشّافعي يسود وهو اعتبار السّنّة وحيًا من نمط مغاير عن وحي الكتاب، إنّ وحي السّنّة هو الإلقاء في الرّوع أي الوحي بالمعنى اللغويّ الذي هو الإلهام وليس بالمعنى الاصطلاحي أي عن طريق وساطة جبريل»[1] يريد أن يقول أنّ السنّة إلهام من الله تعالى لشرح القرآن فقط، لا تزيد عن ذلك، فلو كانت وحيًا لاستقلت بالتّشريع، فهي تابعة للقرآن وتؤدي مهمّة واحدة فقط هي بيان وشرح القرآن.

-مناقشة نصر حامد:فنسب للإمام الشّافعي ما لم يقله وسأنقل كلام الإمام ثمّ كلام نصر حامد لترى كيف حرّف الكلام، قال الإمام الشّافعيّ:«والوجه الثّالث ما سنّ رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نصّ كتاب، فمنهم من قال :جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسنّ فيما ليس فيه نص كتاب، ومنهم من قال: لم يسنّ سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبيّن عدد الصّلاة وعملها على أصل جملة فرض الصّلاة ... ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله فأثبتت سنته بفرض الله، ومنهم من قال :ألقي في روعه كلّ ما سنّ: وسنته الحكمة الذي ألقي في روعه عن الله فكان ما ألقي في روعه سنته.»[2] وقول نصر حامد السّابق : « فإنّ الوجه الثّالث محلّ خلاف وهو استقلال السّنة بالتّشريع ...»[3]

-نسب للإمام الشّافعي ما لم يرجّحه أو يبينّه فالإمام الشّافعي ذكر الآراء دون ترجيح.

-الإمام الشّافعي ذكر اختلاف تفسير العلماء للسّنة التي ترد وليس لها نصّ كتاب والفرق بين القولين كبير؛ فنصر حامد يُوهم القاري أنّ العلماء اختلفوا في هل تستقل السّنة بالتّشريع أم لا، لكن الحقيقة اختلافهم في تفسير تشريعات السّنة التي ليس لها نصّ كتاب.[4]

-عرّف وحي السّنة أنّ إلهام والإمام الشّافعي ذكرها في معرض ذكر تفسيرات العلماء وهو أحد أقوالهم أنّ الوحيّ هو الإلهام فقط ونفى وساطة جبريل عليه السّلام، و هذا قصور واضح منه فكيف لنصر حامد أن يفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ١٩﴾ سورة القيامة.وغيرها من الآيات الدّالة على وحيية السّنّة، وكيف يفسر لنا نصر حامد ورطته التي عرّف بها النّفث في الرّوع هو الإلهام دون وساطة جبريل،والحديث الثّابت يردّ زعمه؛ حيث يقول النّبي ﷺ: «وإنّ الرّوح الأمين نفث في روعي أنّه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطّلب ...»[5] وغيرها من الأدلة التي لا أظنّ نصر

(١) المرجع نفسه، ص ٨٣.
(٢) الإمام الشّافعي، أبو زيد ، ص ٩١-٩٢.
(٣) المرجع نفسه، ص ٨٣.
(٤) ينظر:نقض كتاب نصر أبو زيد، د. رفعت فوزي ص ٥٨.
(٥) ينظر :صحيح وضعيف الجامع الصغير - محمّد ناصر الدّين الألباني، الناشر : المكتب الإسلامي، ص ٣٨٥.

حامد سبق أن قرأها حتّى يكون لديه تصور كامل حول الموضوع بل يقتطف ما حضر أمامه دون الإلمام بالموضوع، لذلك تأتي عدّة أدلة أخرى ليس له جواب عنها.

الفرع الثّاني:ثبوت السّنّة.

-الشّبهة: طرح في شبهته هذه قضية إعادة النّظر في مفهوم التّواتر، حيث قال نصر حامد:«والحقيقة أنّ الخلاف لم يكن حول حجيّة أحاديث الآحاد وحدها، بل هناك من قلّل من درجة حجية المتواتر، وذلك على أساس أنّ المتواتر ليس إلا الاجتماع على رواية بعينها، ولما كان التّواتر جمع آحاد، وكانت شبهة الكذب يمكن أن تلحق الأفراد، فإنّ نفي الكذب عن الأفراد مستحيل وعلى ذلك ينكر أصحاب الرّأي أن يكون العلم النّاشئ عن التّواتر مساويّا للعلم النّاشئ عن العيان، كما يذهب الكثرة، ويكتفون بالقول إنّ التّواتر من الأخبار يوجب علم طمأنينة لا يقين. ومعنى الطمأنينة عندهم ما يحتمل أن يتخالجه شكّ أو يعتريه وهم»[1] ويقول أيضا: «التّواتر ظاهرة تستحق دراسة أعمق من زوايا متعددة، تختلف عن تلك التي نوقشت من خلالها في التّراث، من هذه الزّوايا زاوية الاصطناع، فإذا كانت قوة السّلطة السّياسيّة وقدرتها على القهر قد استطاعت أن تفرض لنفسها الإجماع بالبيعة، فليس ثمّة ما يمنع من فرض التّواتر على مستوى الأخبار والمرويات بمحاربة الأخبار والمرويات المضادة لتوجهاتها.»[2].

-تحليل الشّبهة: ناقش نصر حامد الإمام الشّافعي في قضية ثبوت السّنة مسألة التّفريق بينه وبين مذهب الإمام أبي حنيفة ليظهر نفسه مدافعا عن مدرسة الرّأي التي حسب زعمه تحترم العقل وهو يستعمل هذه المطيّة ليظهر أنّه مفكر من الدّاخل-أي مفكر إسلاميّ- وليس من الخارج الذي سيجد الرّفض قبل معرفة شبهه حسب زعمه طبعا؛ وإلا فالقرآن الكريم الذي هو مصدر كلّ علوم المسلمين الأول ناقش الكفار وذكر حججهم وردّ عليها بل أعطاها صبغة الخلود والبقاء دون خوف من ذكرها،[3] وجاء بها في أبهى حلّة بلغة القرآن البليغة، فالمسلمون لا يخافون من ذكر حجج الخصوم.وطرح عدّة عناوين أذكرها تباعا.

١-الأخبار المتواترة تحتاج إعادة نظر:

قال نصر حامد:«والحقيقة أنّ الخلاف لم يكن حول حجيّة أحاديث الآحاد وحدها، بل هناك من قلّل من درجة حجية المتواتر، وذلك على أساس أنّ المتواتر ليس إلا الاجتماع على رواية بعينها، ولما كان التّواتر جمع آحاد، وكانت شبهة الكذب يمكن أن تلحق الأفراد، فإنّ نفي الكذب عن الأفراد مستحيل وعلى ذلك ينكر أصحاب الرّأي أن يكون العلم النّاشئ عن التّواتر مساويّا للعلم النّاشئ عن العيان، كما يذهب الكثرة، ويكتفون بالقول إنّ التّواتر من الأخبار يوجب

(١) الإمام الشّافعيّ، أبو زيد ص ١٠٦.

(٢) الإمام الشّافعيّ، أبو زيد ،ص ١٠٧.

(٣) أغلب السّور المكيّة وبعض المدنيّة.

علم طمأنينة لا[1] يقين. ومعنى الطمأنينة عندهم ما يحتمل أن يتخالجه شكّ أو يعتريه وهم.«[2] ويقول أيضا:« التّواتر ظاهرة تستحق دراسة أعمق من زوايا متعددة، تختلف عن تلك التي نوقشت من خلالها في التّراث، من هذه الزّوايا زاوية الاصطناع، فإذا كانت قوة السّلطة السّياسيّة وقدرتها على القهر قد استطاعت أن تفرض لنفسها الإجماع بالبيعة، فليس ثمّة ما يمنع من فرض التّواتر على مستوى الأخبار والمرويات بمحاربة الأخبار والمرويات المضادة لتوجهاتها.«[3].

-مناقشة نصر حامد: أفكاره لا ترقى للمناقشة أصلا في هذه الجزئيّة لكن الضّرورة العلميّة تحتمها في هذا الموضع لأنّه حرّف النّقل وبنى عليه حكما كمسلمة ليُكسب رأيه القوة والمنعة، وأنّ رأي الإمام الشّافعي هو قول بعض أهل العلم والكثرة على خلافه.

-قال إنّ الخلاف ليس في الآحاد فقط بل حتى في المتواتر وأنّه يفيد الطمأنينة فقط عند الأكثر ونقل هذا الكلام عن الإمام أبي زهرة من كتابه عن الإمام أبي حنيفة وقول الإمام أبي زهرة عمدة لكنّ نصر حامد لم يواصل النّقل ليبيّن رأي الإمام أبي زهرة، قال الإمام أبو زهرة ذاك الكلام وزاده دعما على لسان أصحاب ذاك الرّأي ،ثمّ ختم الإمام أبو زهرة أنّ أبا حنيفة يرى حجيّة المتواتر ولم يثبت أنّه أنكر خبرا علم تواتره[4] فهو ينفي ما يوهم نصر حامد أنّ الحنفيّة يشكّكون في المتواتر.

-ثمّ زاد شبهة أنّ المتواتر هو جمع الآحاد، وهذا من الافتراءات في تصوير مسألة المتواتر، فالمتواتر ليس جمع آحاد ولو قال ذلك أهل العلم لقالوا أنّ المتابعات تنفع للوصول لدرجة التواتر، ولم يشترطوا العدالة في التّواتر ولا الدّيانة ولا غيرها إلا أنّ يستحيل تواطؤهم عن الكذب والجمع يكون في طبقة من السّند ومنهم من زاد أنّ نهاية الأخبار للحس، [5] فيبدو أنّ نصر حامد لم يتعب نفسه للقراءة لأهل الحديث ،حتّى يثبت عنده أنّ الآحاد مهما أجتمع فلن يصل إلى المتواتر، ولو اجتمعت الشّروط حتى وصل التّواتر لانتفى عنه وصف الآحاد لأنّه استغنى عن الثّقة والعدالة وغيرها من شروط التّواتر لأنّ هذه الشّروط اعتبرها المحدّثون خوفا من الغفلة والنّسيان والاختلاط وغيرها من الأسباب التي يتقيها المحدّثون في الآحاد، أمّا الكذّابون والوضّاعون فلا يُشتغل بمروياتهم لا آحادا ولا تواترا، لكنّ نصر حامد بعيد عن الميدان فلا يعرف علومه، وردود كثيرة في تفاصيل علوم المحدّثين تردّ عليه ادّعاءه.

٢-أحبار الآحاد تفيد الظّاهر فقط.

-الشّبهة: تحدّث عن أخبار الآحاد أنّها تفيد الحكم

(١) وقد أخطا أبو زيد في نقلها: يوجب علم الطّمأنينة واليقين. وعجبت له كيف يعطف الطّمأنينة على اليقين ويشرح الطّمأنينة بما يخالف اليقين نقلا عن أبي زهرة، ينظر الإمام الشّافعيّ، أبو زيد ص ١٠٦.
(٢) الإمام الشّافعيّ، أبو زيد ص ١٠٦.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٧.
(٤) الإمام أبو حنيفة، أبو زهرة، ص٣٠٧.
(٥) ينظر: تدريب الرّاوي في شرح تقريب النّواي، للحافظ السّيوطي،، ٢ / ٦٢٧.وغيرها من كتب علوم الحديث.

الظّاهر دون الباطن بخلاف القرآن والمتواتر الذي يفيد الظّاهر والباطن، ثمّ ناقش مسألة الاتّصال والانقطاع بعد توثيق الرّواة،حيث يقول:« واللافت هنا أنّ الشّافعي يقوم بعملية تبرير واضحة، فالواقع يؤكد له أنّه ليس ثمّة إجماع على قبول السّنن الصّحيحة بالشّروط السّابقة- إلا أنّه يفترض- وهنا يمكن التّبرير والمغالطة أنّ مجرّد عدم الإجماع على خلاف السّنّة -الحديث- يؤكد حجيّتها ومعنى ذلك أنّ الصّحيح يتمتع بالمرتبة الثّالثة من حيث الحجيّة بعد المتواتر والمشهور...لا نستطيع أن نقبل في النّهاية تبرير الواقع الخلافيّ بالقول الذي يذهب إليه الشّافعي، إنّ عدم الإجماع على الخلاف درجة من درجات الحجيّة.»[1].

ثمّ طرح شبهة حجيّة المرسل عند الإمام الشّافعيّ حيث قال :«وهكذا لا يألو الشّافعيّ جهدا في الحرص على إدراج المراسيل في إطار السّنة، توسيعا لمجال فعاليّة النّصوص.»[2]

-تحليل الشّبهة: تحدّث عن أخبار الآحاد أنّها تفيد الحكم الظّاهر دون الباطن بخلاف القرآن والمتواتر الذي يفيد الظّاهر والباطن وأنّ الآحاد إذا ثبت لا يحتاج للقياس وأنّ الآحاد والقياس كلّها تفيد الظّاهر، ثمّ ناقش مسألة الاتّصال والانقطاع بعد توثيق الرّواة، فالصّحيح هو رواية الثّقة عن مثله دون انقطاع غير مخالف للمعقول أو حديث أقوى منه فإذا تحققت هذه الشّروط استحال اختلاف العلماء حولها فيعلق قائلا: واللافت هنا أنّ الشّافعي يقوم بعملية تبرير واضحة، فالواقع يؤكد له أنّه ليس ثمّة إجماع على قبول السّنن الصّحيحة بالشّروط السّابقة- إلا أنّه يفترض- وهنا يمكن التّبرير والمغالطة أنّ مجرّد عدم الإجماع على خلاف السّنّة -الحديث- يؤكد حجيّتها ومعنى ذلك أنّ الصّحيح يتمتع بالمرتبة الثّالثة من حيث الحجيّة بعد المتواتر والمشهور...لا نستطيع أن نقبل في النّهاية تبرير الواقع الخلافيّ بالقول الذي يذهب إليه الشّافعي، إنّ عدم الإجماع على الخلاف درجة من درجات الحجيّة.»[3].

ثمّ ناقش المرسل حيث يدخله الإمام الشّافعي في السّنّة حيث يقول:«وهكذا لا يألو الشّافعي جهدا في الحرص على إدراج المراسيل في إطار السّنة، توسيعا لمجال فعاليّة النّصوص.»[4]

-مناقشة نصر حامد: هذا كلام المحدّثين فجلّهم وخاصّة المتأخرين منهم جعلوه يفيد العمل لا العلم؛ قال الإمام السّيوطي:« وإذا قيل هذا حديث (صحيح فهذا معناه) أي: ما اتّصل سنده مع الأوصاف المذكورة، فقبلناه عملا بظاهر الإسناد (لا أنّه مقطوع به) في نفس الأمر، لِجواز الخطأ والنّسيان على الثّقة خلافا لمن قال: إنّ خبر الواحد يوجب القطع، حكاه ابن الصّبّاغ عن قوم من أهل الحديث، وعزاه الباجيّ[5]

(١) الإمام الشّافعيّ، أبو زيد، ص ١٠٩.
(٢) المرجع نفسه،ص ١٠٩.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٩.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٠٩.
(٥) القاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف التّميمي (٤٠٣هـ-٤٤٧هـ): الفقيه الحافظ النظار العالم أخذ عن أبي الأصبغ بن شاكر ومحمد بن إسماعيل، وعنه

للإمام أحمد.

وابن خويز منداد[1] لمالك، وإن نازعه فيه المازريّ[2]، بعدم وجود نصّ له فيه، وحكاه ابن عبد البرّ[3] عن حسين الكرابيسّي[4] وابن حزم عن داود[5]. وحكى السّهيليّ عن بعض الشّافعيّة ذلك بشرط أن يكون في إسناده إمام مثل مالك وأحمد وسفيان، وإلّا فلا يوجبه. وحكى الشّيخ أبو إسحاق في التّبصرة عن بعض المحدّثين ذلك في حديث مالك عن نافع عن ابن عمر وشبهه.«[6] لأجل هذا نتج الخلاف بين أهل

الخطيب البغدادي وابن عبد البر، كتب في أغلب الفنون، منها أحكام الفصول في أحكام الأصول، والمتنقى شرح الموطأ،ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكيّة،محمّد بن محمّد الشّهير بابن مخلوف ،علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلميّة، لبنان،ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١/ ١٧٨.

(١) أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عبد الله بن خويز منداد: الإمام الفقيه الأصولي أخذ عن أبي بكر الأبهري وغيره، ألّف كتاباً كبيراً في الخلاف وكتاباً في أصول الفقه وكتاباً في أحكام القرآن،ينظر: شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة،محمّد بن محمّد الشّهير بابن مخلوف، ١/ ١٥٤.

(٢) أبو عبد الله محمَّد بن علي بن عمر التميمي المازري، خاتمة العلماء المحققين ، أخذ عن أبي الحسن اللخمي وعبد الحميد الصائغ وغيرهما، وعنه من لا يعد كثرة منهم أبو محمد عبد السلام البرجيني وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم =يعرف بابن الفرس وأبو عبد الله بن تومرت، توفي سنة ٥٣٦ هـ،ينظر: شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة،محمّد بن محمّد الشّهير بابن مخلوف، ١/ ١٨٦-١٨٧.

(٣) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر النّمري) ٣٦٨ هـ - ٤٦٣ه(: الإمام الحافظ وكبير محدّثيها، تفقه بابن المكوي وابن الفرضي، وسمع منه سعيد بن نصر وعبد الوارث وأحمد بن قاسم، له مؤلفات كثيرة منها: التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لم يتقدمه فيه أحد، والاستذكار بمذهب علماء الأمصار، والاستيعاب في أسماء الصحابة، والكافي في الفقه، ينظر: شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة،محمّد بن محمّد الشّهير بابن مخلوف، ١/ ١٧٧.

(٤) الحسين بن على بن يزيد أبو على الكرابيسى كان إماما جليلا جامعا بين الفقه والحديث تفقه أولا على مذهب أهل الرّأي ثمّ تفقه للشّافعيّ، وسمع منه الحديث ومن يزيد بن هارون وإسحاق الأزرق ويعقوب بن إبراهيم وغيرهم روى عنه عبيد بن محمّد بن خلف البزّار ومحمّد بن علي، وله مصنّفات كثيرة، توفي ٢٤٨ه ينظر: طبقات الشّافعيّة الكبرى، : عبد الوهاب بن تقي الدّين السّبكي، تح: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمّد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط: ٢، ١٤١٣هـ، ٢/ ١١٨-١٢٠.

(٥) أبو سليمان بن علي بن خلف الأصبهاني) ٢٠٢ه/ ٢٧٠ه(الإمام المشهور المعروف بالظاهري، أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبي ثور وغيرهما، وتبعه جمع يعرفون بالظاهرية، وكان ولده، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أحمد بن محمد المشهور بابن خلكان، تح: إحسان عباس، النّاشر: دار صادر - بيروت،٢/ ٢٥١-٢٥٢.

(٦) تدريب الرّاوي، للسّيوطيّ، ١ / ٧٦.

العلم في تفاوت حمل الحديث ووصوله إليهم، ولأنّه يفيد الظّنّ والظّنّ له مراتب حسب كلّ عالم.مع أنّ مجموعة من أهل العلم قالوا بأنّه يفيد اليقين.

-والأمر المتّفق عليه بين أهل العلم أنّ الآحاد يوجب العمل، ولا يجوز غير ذلك وإفادة الظّاهر والباطن أساسيّة فيه لأنّهم بنوا عليه الأحكام الشّرعيّة من وجوب وحرمة وغيرها، وقد يرتقي لإفادة اليقين بقرائن تضاف لذلك.

وقال الإمام السّيوطي أيضا:« فقد نقل بعض الحفّاظ المتأخّرين مثل قول ابن الصّلاح[1]-يعني أنّ ما رواه الشّيخان أو أحدهما فهو مقطوع بصحّته والعلم القطعيّ حاصل فيه- عن جماعة من الشّافعيّة، كأبي إسحاق[2] وأبي حامد الإسفراييني[3]، والقاضي أبي الطّيّب[4] والشّيخ أبي إسحاق الشّيرازيّ[5]، وعن

(١) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن الصلاح،) ٥٧٧ه-٦٤٣ه(الفقيه الشّافعي؛ كان أحد فضلاء عصره في التّفسير والحديث والفقه وأسماء الرّجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسددة وهو أحد أشياخي الذين انتفعت بهم. قرأ الفقه أولاً على والده الصلاح والشّيخ عماد الدين أبي حامد وغيرهما، له مؤلفات مهمة أشهرها مقدمته في مصطلح الحديث، ينظر: : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المشهور بابن خلكان، ٣/ ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايني (ت٤١٨هـ) الفقيه الشّافعي المتكلّم الأصولي؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله، وقال: أخذ عن الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور، وأقر له بالعلم أهل العراق، وخراسان، وله التّصانيف الجليلة، منها: كتابه الكبير الذي سماه جامع الحلي في أصول الدّين والرّدّ على وغير ذلك من المصنفات، وأخذ عنه القاضي أبو الطيب الطبري.ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أحمد بن محمّد المشهور بابن خلكان، ١/ ٢٨.

(٣) أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني) ٣٤٤ه-٤٠٦ه(، الفقيه الشّافعيّ؛ انتهت إليه رياسة الدّنيا والدّين ببغداد، وأخذ الفقه عن أبي الحسن بن المرزبان، ثمّ عن أبي القاسم الدّاركي،قال الخطيب البغداديّ: كان يحضر درسه سبعمائة متفقه، ينظر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد المشهور بابن خلكان، ١/ ٧٢-٧٤.

(٤) أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشّافعي)٣٤٨ه-٤٥٠ه(؛ كان ثقة صادقاً ديناً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه، تفقه بآمل على أبي علي الزجاجي صاحب ابن القاص، وقرأ على أبي سعد الإسماعيلي، له كتب كثيرة منها: شرح مختصر المزني وفروع أبي بكر ابن الحداد المصري. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أحمد بن محمّد المشهور بابن خلكان، ٢/ ٥١٢-٥١٥.

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، الشّيرازي)٣٩٣ه-٤٧٦ه(، أخذ عن أبي أحمد عبد الوهاب بن محمّد بن أمين وأبي عبد الله محمّد بن عبد الله البيضاوي، ألف كتبا عديدة منها: المهذب في المذهب، والتّنبيه في الفقه، واللمع وشرحها في أصول الفقه، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أحمد بن محمّد المشهور بابن خلكان، ١/ ٢٩-٣٠.

السّرخسيّ من الحنفيّة[1]، والقاضي عبد الوهّاب[2] من المالكيّة، وأبي يعلى[3]، وابن الزّاغونّي[4] من الحنابلة، وابن فورك[5]، وأكثر أهل الكلام من الأشعريّة، وأهل الحديث قاطبة، ومذهب السّلف عامّة أنّهم يقطعون بالحديث الّذي تلقّته الأمّة بالقبول، بل بالغ ابن طاهر المقدسيّ[6] في صفة التّصوّف، فألحق به ما كان على شرطهما، وإن لم يخرجاه.

وقال شيخ الإسلام-يعني ابن حجر-: ما ذكره النّوويّ في شرح مسلم من جهة الأكثرين، أمّا المحقّقون فلا، فقد وافق ابن الصّلاح أيضا محقّقون. وقال في شرح النّخبة: الخبر المحتفّ بالقرائن يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك، قال: وهو أنواع: منها ما أخرجه الشّيخان في صحيحيهما ممّا لم يبلغ التّواتر، فإنّه احتفّ به قرائن. منها: جلالتهما في هذا الشّأن وتقدّمهما في تمييز الصّحيح على غيرهما، وتلقّي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التّلقّي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرّد كثرة الطّرق القاصرة عن التّواتر.»[7]

فهل نصدّق العلماء ومقولاتهم أم نصدّق نصر حامد الذي يختزل ويقرّر مسلّمات ويبني عليها هدمه.

(١) شمس الأئمّة محمّد بن أحمد بن أبي سهيل السرّخسّي الحنفيّ)ت ٤٨٣ه(له المبسوط، ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين،ط: ١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ٥/ ٣١٥.

(٢) القاضي أبو محمّد عبد الوهاب بن علي البغدادي الفقيه المالكي)٣٦٢ه-٤٢٢ه(كان فقيهاً أديباً شاعراً، سمع أبا عبد الله بن العسكري وعمر بن محمد بن سبنك وغيرهما صنّف في مذهبه كتاب « التلقين « وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة، وله كتاب « المعونة « و « شرح الرّسالة « وغير ذلك عدة تصانيف. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أحمد بن محمّد المشهور بابن خلكان، ٣/ ٢١٩-٢٢٢.

(٣) محمّد بن الحسين بن محمّد بن خلف بن أحمد بن الفراء أبو يعلي)ت٤٥٨ه(، كان فقيها محدّثا، سمع من أَبِي الحسين السّكري، وأَبِي القاسم موسى بْن عيسى، مصنّفاته كثيرة منها:أحكام القرآن ونقل القرآن وإيضاح البيان ومسائل الإيمان، ينظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمّد بن محمّد،تح: محمد حامد الفقي، النّاشر: دار المعرفة - بيروت، ٢/ ١٩٣-٢١٦.

(٤) نصر بن عبيد الله بن سهل بن الزاغواني البغدادي)٤٥٥ه-٥٢٧ه(، الفقيه المحدث الواعظ، أَبُو الحسن، أحد أعيان المذهب. وقرأ القرآن بالروايات، وطلب الحديث بنفسه، وقرأ وكتب بخطه.وسمع من أبي الغنائم بن المأمون، وأبي جعفر بن المسلمة، وأَبِي محمّد الصريفيني وأبي الحسين بن النقور، وروى عنه ابن ناصر، وأَبُو المعمر الأنصاري، وابن عساكر، وابن الجوزي، ولابن الزاغوني تصانيف كثيرة، منها: في =الفقه: « الإقناع « في مجلد، و « الواضح « و « الخلاف الكبير «ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تح: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض،ط: ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ١/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٥) الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ)ت٤٠٦ه(، وبلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريبا من مائة مصنف. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد المشهور بابن خلكان، ٤/ ٢٧٢.

(٦) أبو الفضل محمّد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الحافظ المعروف بابن القيسراني) ٤٤٨ه-٥٠٧ه(؛ كتبه طثيرةه منها: أطراف الكتب السّتة، الأنساب. . ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد المشهور بابن خلكان، ٤/ ٢٨٧-٢٨٨.

(٧) تدريب الرّاوي، للسّيوطيّ، ١/ ١٤٣-١٤٤.

-وأنّ الآحاد إذا ثبت فلا يحتاج للقياس فهذا ليس كلام الإمام الشّافعي كما يوهم القارئ، بل لو واصل القراءة في كتاب الإمام أبي زهرة لوجد أنّ هذا كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الذي ادّعى أنّ الحنفيّة ينازعون في ثمرة المتواتر أنّه يفيد الطمأنينة، ولندع الإمام أبو حنيفة يردّ عليه وكفى به،قال الإمام أبو حنيفة: كذب والله وافترى علينا مَن يقول : إنّنا نقدّم القياس على النّصّ، وهل يُحتاج بعد النّص إلى قياس؟[1].

-يتهم الإمام الشّافعيّ بالمغالطة لتبرير مذهبه وهو لم يفهم كلام الإمام، يقول نصر حامد:«فإذا تحققت هذه الشّروط استحال اختلاف العلماء حولها فيعلق: واللافت هنا أنّ الشّافعي يقوم بعملية تبرير واضحة...[2] والإمام الشّافعي يقصد من تحققت عنده هذه الشّروط فهو ملزم بها فلو تحققت عند كلّ العلماء فهم ملزمون جميعا لذلك أغلب الخلاف في تحقق الشّروط وليس في طرح الشّروط نفسها.

-وختم تعليقه على الإمام الشّافعي، بأنّه أدخل المرسل ضمن السّنة لزيادة فعاليّة النّصوص، لكني سأترك عالما يتكلّم ليردّ على هذه الفريّة التّاريخية، قال الإمام أبو داود:« وأمّا المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان الثّوريّ ومالك بن أنس والأوزاعيّ حتّى جاء الشّافعي فتكلّم فيها وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم فإذا لم يكن مسند غير المراسيل ولم يوجد المسند فالمرسل يحتج به وليس هو مثل المتّصل في القوّة.«[3] فأيهما نصّدق الإمام أبا داود الذي قال: إنّ الإمام الشّافعي ضيّق عن المراسيل أمّ نصر حامد، ثمّ إنّ الاحتجاج بالمرسل ليس من الباب الذي قاله نصر حامد، بل من باب الاحتياط أولا ثمّ مراعاة الأعراف العلميّة لتلك العصور القديمة التي لم تراع في بعض الأحيان ذكر رجال كلّ السّند ثمّ إنّ كثيرا منها ساندة العمل المتوارث الذي هو أقوى من التّواتر.

الفرع الثّالث: بشريّة محمّد ﷺ.

-الشّبهة: يقول نصر حامد:«هكذا يكاد الشّافعي يتجاهل بشريّة الرّسول تجاهلا شبه تامّ، وتكاد تختفي من نسقه الفكريّ أنتم أعلم بشئون دنياكم.«[4]ويقول أيضا:« إنّ فهم النّبي ﷺ للنّص يمثل أولى مراحل حركة النّص في تفاعله بالعقل البشريّ ولا التفات لمزاعم الخطاب الدّيني بمطابقة فهم الرّسول للدلالة الذّاتيّة للنّص، على فرض وجود هذه الدّلالة الذّاتيّة، إنّ مثل هذا الزّعم يؤدي إلى نوع من الشّرك من حيث إنّه يطابق بين المطلق والنّسبي، وبين الثّابت والمتغير، حين يطابق بين القصد الإلهيّ والفهم الإنسانيّ لهذا القصد ولو كان فهم الرّسول، إنّه زعم يؤدي إلى تأليه النّبيّ، أو إلى تقديسه بإخفاء حقيقة كونه بشرا، والكشف عن حقيقة كونه نبيا بالترّكيز

(١) الإمام أبو حنيفة، أبو زهرة، ص٣٠٢.
(٢) الإمام الشّافعيّ، نصر حامد، ص ١٠٩.
(٣) رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه،أبو داود،تح: محمّد الصّباغ، النّاشر: دار العربية بيروت،ص٢٤-٢٥.
(٤) الإمام الشّافعيّ، نصر حامد، ص ٨٤.

عليها وحدها.«[1] ويعلّق على كلام الإمام الشّافعي في وصف محمّد ﷺ فيقول:« وتؤكد الدّلالات المستدعاة أنّ الشّافعي بدلالة الخطاب يجمع بين الأزليّ والتّاريخيّ في شخص محمّد وهذا يسهل إلى حدّ كبير عمليّة تحويل السّنة بدلالتها الواسعة جدا إلى وحي.[2] ويقول أيضا:«وتتضح الإجابة من خلال تحليل المكانة التّشريعيّة للسّنة في خطاب الشّافعيّ ،خاصّة بعد أن وسّع مفهوم السّنة بحيث يضمّ الأقوال والأفعال والمواقف، وبعد أن جعلها وحيّا مساويّا للقرآن من كلّ وجه، إنّ السّنّة المحمّديّة بهذا المفهوم الواسع الذي لا يميز بين التّشريع والعادات، تتضمن بالضّرورة العادات والتّقاليد والأعراف التي يرفضها الإسلام ولم ينكرها وهذه العادات والتّقاليد والأعراف هي الممارسات القرشيّة التي كان يمارسها الرّسول بوصفه إنسانا يعيش في التّاريخ والمجتمع والواقع...فإنّ الإمام الشّافعي جعل من عادات قريش وأعرافها دينا ملزما للنّاس كافّة.»[3]. ويقول أيضا«: لكن توحيد الشّافعي بين وحي القرآن وبين وحي السّنّة لا يستقيم، خاصّة وقد جعلهما على درجة واحدة من حيث قوة الإلزام ،لأنّ النّتيجة النّهائيّة لمثل ذلك التّوحيد مشارفة أفاق التّوحيد بين الإلهيّ والبشريّ.«[4]، ويقول أيضا:« لكنّ هذا التّأسيس للنّمط الثّاني على النّمط الأول لا يعني أنّ كلّ ما صدر عن الرّسول من أقوال وأفعال وتقريرات -وهو مفهوم السّنّة- صدر عن وحي، فكثير من الشّواهد تدلّنا على أنّه كان يرى الرّأي ثمّ يستشير أصحابه ويتّبع رأيهم.»[5]ويقول أيضا: «إنّ تأسيس السّنة وحيّا لم يكن يتمّ بمعزل عن الموقف الأيديولوجيّ الذي أسهبنا في شرحه وتحليله، موقف العصبيّة العربيّة القرشيّة. التي كانت حريصة على نزع صفات البشريّة عن محمّد وإلباسه صفات قدسيّة إلهيّة تجعل منه مشرّعا»[6]

-تحليل الشّبهة: طرح نصر حامد عدّة قضايا يريد بها خلط الأوراق بنظام النّوافذ المفتوحة حتّى ينبهر الخصم أمامها لكن سأناقشه فيها واحدة تلو الأخرى حتّى يتبيّن الحق من غيره.

بشريّة الرّسول ﷺ تتعارض في عقل نصر حامد مع استقلال السّنة بالتّشريع وذلك بتّأليه محمّد ﷺ وتشريكه لله في خصوصيّة حاكميته بالتّشريع، وفهم الرّسول ﷺ ليس معصوما لأنّه بشر وكم من مرة يقول الرّأي ويستشير أصحابه ويتّبع رأيهم لأنّه أصوب ولو كان كلامه وحيّا ما ترك رأيه لرأيهم، ودافعها العصبيّة العربيّة القرشيّة جعلت من محمّد ﷺ مشرّعا حتّى تحوّلت عادات قريش التي لم يؤسسها الإسلام ولم ينكرها سنة واجبة الاتّباع، هكذا صوّر نصر حامد كلام الإمام الشّافعي حقيقته ودوافعه.

- مناقشة نصر حامد:

- بشرية الرّسول هذه حقيقة متّفق عليها، ولا

(١) نقد الخطاب الدّيني، نصر حامد، ص ٩٣.
(٢) الإمام الشّافعيّ، نصر حامد، ص ٤٦.
(٣) المرجع نفسه،ص ٤٤.
(٤) المرجع نفسه،ص ٨٩.
(٥) المرجع نفسه، ص ٨٩.
(٦) المرجع نفسه، ص ٩٧.

ينقص منها أنّه معصوم من الله تعالى في التّبليغ بل العصمة تثبت أنّه بشر ولولا العصمة لوقع منه الخطأ أقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾. سورة الإسراء. وغيرها من الآيات التي تفيد العصمة في التّبليغ عن الله تعالى الدّين كلّه.وقال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (النساء: ١١٣).فالله أنزل الكتاب الذي هو القرآن وما الحكمة المنزلة كذلك أليست أمرا زائدا عن القرآن ألا تتناسب مع الآية ﴿ثمّ إنّا علينا بيانه﴾ سورة القيامة، أي سينزل البيان بعد القرآن الذي هو الحكمة الذي هو شرح النّبي ﷺ وتفسيره وبيانه وتخصيصه لعام القرآن وتقيده لمطلقه واستقلاله في التّشريع لما سكت عنه، إنّ الشّرح الذي يقبله العقل هو الشّرح الذي يجمع بين جميع الآيات بخيط يضمها متناسقة مع بعضها لا نشاز فيها ولا اعوجاج، أمّا الرّأي الخاطئ هو الذي ينفرط من خيطه أغلب الآيات، فقد وردت كلمة الحكمة مع القرآن في عدّة مواضع منفصلة عنه وقسيمة له، والمقام لا يسع أكثر من الإشارات.

-أمّا فهمه أنّه بشريّ، وأنّه كان يرى الرّأي ويتبع غيره، وقوله: « أنتم أعلم بأمور دنياكم». فنصر حامد هنا يبدو أنّه وقع في خلط كبير بسبب جمع كلّ ما له علاقة بالموضوع وبتره عن سياقه حتى يكثر الحجج المؤيدة له أمام من لا يطالع أو ثقافته الشّرعيّة ضحلة. الحديث الذي استشهد به هو عليه وليس له سأذكر الحديث أولا:

-«مررّت مع رسول الله ﷺبقوم على رءوس النّخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقّحونه، يجعلون الذّكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ﷺ: «ما أظنّ يغني ذلك شيئا» قال فأُخبروا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله ﷺبذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنّي إنّما ظننت ظنّا، فلا تؤاخذوني بالظّنّ، ولكن إذا حدّثتكم عن الله شيئا، فخذوا به، فإنّي لن أكذب على الله عزّ وجلّ»، وعن رافع بن خديج، قال: قدم نبيّ ﷺ المدينة، وهم يؤبّرون النّخل، يقولون يلقّحون النّخل، فقال:«ما تصنعون؟» قالوا: كنّا نصنعه، قال: «لعلّكم لو لم تفعلوا كان خيرا» فتركوه، فنفضت أو فنقصت، قال فذكروا ذلك له فقال: «إنّما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأييّ، فإنّما أنا بشر»[1] فألفاظ الحديث لو ركّز عليها نصر حامد قليلا لكفته مؤونة فضحه؛ فقول النّبي ﷺ: «ما أظنّ يُغني ذلك شيئا» واللفظ الثّاني «لعلّكم لو لم تفعلوا كان خيرا»، فاللفظ الأول كلمة ما أظنّ تدلّ على بشريّة كلامه، والثّانيّة لعلّكم وما تفيده لغة فهما كافيّا نضفي البشريّة على هذا الأمر وما شابهه ممّا رتّبه العلماء تحت المصالح المرسلة وأنّ القول فيها لأهل الاختصاص وأنّ المصلحة

(١) رواه مسلم في صحيحه، ٤ / ١٨٣٦.

هي الحاكمة والتّجربة والخبرة وهذه لم ينسها الإمام الشّافعي بل مذهبه مليء بمثيلاتها.

ولعلّ نصر حامد لو اتعب نفسه فطالع في السّيرة كما يُوهم أنّه مطلّع عليها لعلم أنّ الصّحابة يقرّون أنّ هناك فرقا بين الوحي والرّأي الصّادر عن السّنة: «فلمّا جاء أدنى ماء من بدر نزل عليه فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعدّاه ولا نقصّر عنه أم هو الرّأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله ﷺ: بل هو الرّأي والحرب والمكيدة، فقال الحباب: يا رسول الله فإنّ هذا ليس بمنزل ولكن انهض حتَى...»[1]. فسؤال الصّحابي عن المكوث الحربيّ هو وحي أم تخطيط؟ لعلمهم أنّه يفعل ذلك بالوحيّ أو الرّأي، يدلّ على انتشار تصرفات النّبي ﷺ بالوحيّ حتّى في العاديات لكن الله أعلم وأحكم فلو قال بالوحيّ لأحتج نصر حامد وأصحابه من أين لنا بالوحيّ في هاته الأمور؟ وعليه فلنترك الدّين كليّة لكنّ الله سلّم، وحوادث أخرى مماثلة تدلّ على هذا النّسق من المعلومات، ولو طالع نصر حامد في كتب الأصول تقسيم تصرّفات النّبي ﷺ لزالت عنه هذه الشُّبهُ لو أراد معرفة الحقيقة.

-أمّا العصبيّة العربيّة ودخول عادات العرب في الشّريعة وأنّها سنّة متبعة وهي رغم عدم تأسيس الإسلام لها ولا إنكارها، هذه أعجب ممّا سبق كلّ شيء جاء عليه الإسلام فإنّ أقرّه فقد أصبح من صلبه فإنّه لا يقرّ إلا ما كان متماشيّا معه، ثمّ نسأل نصر حامد هل كان لزاما على الإسلام أن يؤسس أعرافا وعادات للمجتمع الذي ينظّمه أم ليس عليه ذلك؟ فإن قال بالأول فنقول له أين هو إذن؟ وإن قال بالثّاني؟ فهو قصور من الإسلام لا يُقبل منه، ثمّ هل عدم إنكار الإسلام يعتبر ضعف في الإسلام؟ أم تفتح واستجلاب كلّ خير؟ ولو كان من مجتمع جاهليّ، فتعجب لمثل نصر حامد كيف ما جاء الإسلام أدانوه مهما فعل لكنّ الله لا يلبي رغبة الأشخاص على حساب الأمّة.

- أمّا حرصه على التّوحيد الذي رغب في الخروج عن حكم الله تعالى وذمّ القائلين به كالإمام الشّافعي والمودودي في عصرنا، والحقيقة هو قول كلّ المسلمين لكن يريد أن ينسبه للبعض ليسهل التّنصل منه، ففي كتب أصول الفقه لكلّ المذاهب تصف الحاكم والشّارع هو الله تعالى، ولا نعلم أحدا من المسلمين أشرك الله نبيّه في أي شيء طيلة السّنين كلّها، فتوقع نصر حامد وتخوفه ليس حقيقة إلا في خياله هو، بل الكلّ يربط أمر رسول الله بالله وإلا كيف يجيب عن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(٣٢) سورة آل عمران، وغيرها من آيات طاعة الرّسول وسؤاله والنّزول عند حكمه.

❋ ❋ ❋

(١) دلائل النّبوة، للبيهقي، ٣/ ٣٥.

الخاتمة

بعد الجولة المختصرة في طرح نصر حامد خلصت لنقاط معينة.

١-السّنّة مصدر تشرعيّ في الإسلام؛ لذلك تعرّض لها نصر حامد بالحديث لكن كانت قليلة مقارنة مع القرآن الكريم.

٢-مصطلح المفهوم يختلف حسب التّخصّصات العلميّة، فهو الصّورة الذّهنيّة لما دلّت عليه الألفاظ أو لا.

٣-النّصّ في هذا البحث هو القرآن والسّنّة بمفهومها الواسع بمعنى المصدريّة والمرجعيّة، وليس هو ملا يحتمل إلا فهما واحدا كما يراه الأصوليّون.

٤- الحداثيّون هم أجندات غربيّة لأنّهم ركّزوا النّقد كلّه على الإسلام بمناهج غربيّة غير مراعيين الخصائص الإسلاميّة، خاصّة مصدريّة النّصوص وقداستها.

٥-نشأة نصر حامد كانت عربيّة ثمّ تأثّرت بالغرب مع زاد في الثّقافة الإسلاميّة استعمله لهدم الإسلام، وكتاباته خير شاهد.

٦-وضوح الأدلجة في كتابات نصر حامد، وادّعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، والاستهزاء بالخصوم واحتقارهم.

٧-التّناقض الواضح جدا حيال السّنّة فمرة اعتبرها نصّا ومرة اعتبرها نصّا ثانويّا ومرة اعتبرها وحيّا بواسطة جبريل ومرة اعتبرها وحيّا دون ذلك.

٨-نفس المنهج الذي عامل به القرآن عامل به السنّة في تحليل الخطاب وتاريخيّة النّصّ وتشكيل الثّقافة له وإمكانيّة تصحيحه بواسطة العقل وأنّه حاكم عليه.

٩-مفهوم السّنّة الختاميّ عنده أنّه نصّ ثانوي ليس وحيّا من الله، بل شارح ومبيّن لا يستقل بالتّشريع، وفيه أخطاء كثيرة.

١٠- هناك عوامل عديدة اعتبرها نصر حامد أثّرت في مفهوم النّصّ - السّنّة- وهي:

أ- عدم وحيية السّنّة، واعتمد على عدم تشرعيّتها، وقد ردّ عليه القرآن وسمّاها الحكمة ووصفها بالإنزال، وثبت أنّ السنّة العمليّة التي لم تأت في القرآن أخذ بها الصّحابة الذين يفرّقون بين الوحيّ وبين البشريّ.

ب-عدم ثبوتها غالبا، وأنّ مفهوم التّواتر غير معقول، وبنى فهمه على تصوّر لم يقله عالم؛ أنّ التّواتر جمع الآحاد.

د-أنّ الآحاد يفيد الظّاهر فقط ونسبة هذا الادّعاء للعلماء، ونسي أقوال العلماء الذين ذكرهم السّيوطي وهم بكثرة بمكان؛ بل نسب السّيوطي القول خاصّة حول الصّحيحين لجمهرة المتكلّين والمحدّثين وكثير من أهل المذاهب الأربعة.

ه-بشريّة محمّد والتي تعني عنده أنّ فهمه للنّصّ هو أوّل تفاعل وليس هو الصّورة المطابقة لفهم النّصّ؛ تماشيّا مع مبدأ تاريخيّة النّصّ؛ يعني حتّى فهم النّبي ﷺ ليس نهائيّا، وهذا ناتج على الخلط بين التّبليغ وبين الجبلة، والتّبليغ لا يعني التّأليه بل يعني احترام ما بلّغه رسول الله ﷺ عن الله تعالى.

١١-ظهور واضح وكبير في كتابات نصر حامد لفوضى المفاهيم وغموضها واضطرابها والاختزال المعرفيّ والسّطو الشّكليّ والتّلفيق المنهجيّ والهزال النّظريّ.

١٢- أنّ الحداثيّين بصفة عامّة ونصر حامد بصفة خاصّة ابتعدوا تماما عن الثّوابت الشّرعية لفهم النّص هذه الثّوابت المبنيّة على معان اللغة العربيّة المتفق عليها بين العرب وشواهدها من كلام العرب قبل الإسلام، ومبنيّة كذلك على التّقسيمات المنطقيّة العقليّة الصّرفة التي يوافق عليها كلّ عاقل.

وأوصي:

١-تكثيف دراسة مناهج الحداثيّين ومنتجاتهم بالأدلة العلميّة.

٢-الإكثار من المؤتمرات والملتقيات والخروج بتوصيات علميّة دقيقة حول هذا الهبل الذي يظهر نفسه أنّه علم.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

١. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين،ط: ١٥ أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٢. الأنسة والتّـأويل، مصطفى لكيحل، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، إشراف: أ.د. إسماعيل زروخي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨.

٣. أين هو الفكر الإسلاميّ المعاصر؟ محمّد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار السّاقي،ط:٢، ٢٠٠٦..

٤. الإمام أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه الفقهيّة، الإمام أبو زهرة دار الفكر العربي مصر،ط ٢..

٥. اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، محمّد براده: مجلة الفصول القاهرة، م ،٤، ع٣، ١٩٨٤م.

٦. الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولجيّة الوسطيّة، الدكتور نصر حامد أبو زيد،نشر مكتبة مدبولي القاهرة مصر،ط ٢ سنة ١٩٩٦.

٧. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب،محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، تح: محمد مظهر بقا،الناشر: دار المدني، السعودية،ط: ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٨. تدريب الرّاوي في شرح تقريب النّواوي، للحافظ السّيوطي، تح: محمّد الفاريابي، الناشر: دار طيبة.

٩. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل،محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني المالكي، تح: عماد الدين أحمد حيدر،النّاشر: مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٠. التّرغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، عمر بن أحمد بن شاهين، تح: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، النّاشر: دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان،ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١١. التّأويل والحقيقة قراءات تأويليّة في الثّقافة العربيّة ، حرب علي،دار التّنوير بيروت،ط:١٩٩٥،٢م.

٢١. جمهرة اللغة،أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد

الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.
١٣. الحداثة في الشّعريّة العربيّة المعاصرة بين الشّعراء والنّقاد عبد الوهاب البياني ومحي الدين صبحي أنموذجا نادية بوذراع : ماجيستر جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨ .
١٤. الخطاب الدّيني، رؤيّة نقديّة، نصر حامد، دار المنتخب العربيّ دراسات إسلاميّة، بيروت، ط:١، ١٩٩٢.
١٥. دلائل النّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشّريعة، للبيهقي، النّاشر: دار الكتب العلميّة - بيروت ط: ١ / ١٤٠٥ هـ.
١٦. ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تح: د عبد الرحمن بن سليمان، الناشر: مكتبة العبيكان الرياض،ط: ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.
١٧. الرّسالة الإمام الشافعي تح: أحمد شاك الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، ط: ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.
١٨. رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه،أبو داود،تح: محمد الصباغ الناشر: دار العربية - بيروت.
١٩. شجرة النور الزكية في طبقات المالكيّة،محمّد بن محمّد الشّهير بابن مخلوف ،علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلميّة، لبنان،ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٠. صحيح الإمام مسلم تح: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان.
٢١. صحيح وضعيف الجامع الصّغير - الألباني النّاشر : المكتب الإسلامي الأردن.
٢٢. الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٣. طبقات الشّافعيّة الكبرى، : تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدّين السّبكي، تح: د. محمود محمّد الطّناحي د. عبد الفتاح محمّد الحلو، النّاشر: هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط: ٢، ١٤١٣ه.
٢٤. طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمّد بن محمّد،تح: محمد حامد الفقي، النّاشر: دار المعرفة - بيروت.. لبنان
٢٥. العرب والحداثة دراسة في مقالات الحداثيّين، بلقريز عبد الإله، مركز دراسات الوحدة العربيّة بيروت، ٢٠٠٨.
٢٦. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
٢٧. فلسفة التّأويل، نصر حامد، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، ط:٦، ٢٠٠٧.
٢٨. القرآن والسّلطان، فهمي هويدي، دار الشّروق، القاهرة، ط:٢، ١٩٨٢.
٢٩. كيف نتعامل مع القرآن ، محمّد الغزالي، دار النّهضة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، القاهرة، مصر، د.ط،٢٠٠٢.

٣٠. الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى، أبو البقاء تح: عدنان درويش – محمّد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣١. لسان العرب، ابن منظور، كتاب الميم، فصل الفاء، مادة (ف هـ م)، دار صادر – بيروت، ط ٣: ١٤١٤هـ.

٣٢. مفهوم النّصّ دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثّقافي العربي، ط:١٤،٢٠١٤.

٣٣. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس،كتاب الفاء، باب الفاء والهاء وما يثلثهما، ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٤. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد بن علي التّهانوي تقديم وإشراف ومراجعة:د. رفيق العجمـ تح: د. علي د.حروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: ١ – ١٩٩٦م.

٣٥. موقف طه عبد الرّحمان من الحداثة، بوزيرة عبد السّلام، رسالة ماجستير، إشراف د.مراجي رابح، جامعة منتوري قسنطينة، سنة ٢٠٠٩–٢٠١٠.

٣٦. نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، النّاشر سيتا القاهرة مصر، ط ٢، ١٩٩٤.

٣٧. نقد نقد الخطاب، رؤيّة معرفيّة اجتماعيّة نصر حامد أبو زيد أنموذجا، أ.مسود قرميس، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مجلة الخطاب والتّواصل العدد الثّالث أبريل ٢٠١٧.

٣٨. النّظرية التّأويليّة عند ريكور، ت بن حسن حسن، p.ricoeur le conflit des interpretation p ١٣–١٤.، نقلا عن مقال تأويل نصر حامد أبو زيد للنّصّ الدّينيّ القرآنيّ، أ. عثماني آمال، مجلة فتوحات العدد الثّاني ، جوان ٢٠٠١٥.ص ٣٣٧.

٣٩. النّصّ القرآنيّ من تهافت القراءة لأفق التّدبر، قطب الرّيسونيّ، منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، ط:١،١، ٢٠١٠ .

٤٠. النّصّ والسّلطة والحقيقة أرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثّقافي العربيّ،ط:١، ١٩٩٥م.

٤١. نقد العقل الدّيني، محمّد أركون، دار الطّليعة، بيروت،٢٠٠٠.

٤٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المشهور بابن خلكان، تح: إحسان عباس، النّاشر: دار صادر – بيروت لبنان.

٤٣. مقال تحت عنوان المذهب النقدي عند الدكتور نصر حامد و موقفه من الاحتجاج بالسنة رؤية نقدية، لعلي صالح.

٤٤. مقال لها بعنوان: (الملامح الفكرية للحداثة) مجلة «فصول« المجلد الرابع العدد الثّالث.

45. ttp://www.alukah.net/shari-a/0/23894/#ixzz5NZeIyMEk

46. ar.m.wikipedia.org..